مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

اسْتحضارُ المأمُول
قراءةٌ في شعرِ السِجون
(العصرُ العبَّاسيّ أنموذجاً)

د. طه على خليفة أحمد

مدرس الأدب العربي – كلية الألسن بالغردقة

جامعة جنوب الوادي

DOI: 10.21608/QARTS.2022.184451.1581

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – العدد (٥٦) يوليو ٢٠٢٢

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

اسْتحضارُ المأمُول
قراءةٌ في شعرِ السَّجون (العصرُ العبَّاسيّ أنموذجًا)

الملخص:

السّجن بظلامه وكبْته وقهره، عاملٌ مهمٌ في تفجير الكوامن الداخليَّة للشاعر، ويجعل من أنَاه بركانًا يوشك على الانفجار، فكان من الضروري أن يبحث الشاعرُ العبَّاسيّ السّجينُ عن علاجٍ لهذه الجراحات النفسيَّة، فلا يجد مُتنفَّسًا سوى الشعر، فهو أفضل طريقةٍ للتعبير عن خلجات النفس المقهورة، وبه يصنع لنفسه رؤى وأحلامًا، وفيه يستحضر عظمة خالقه، الذي سينجِّيه، ويستحضر ذاته يبثّها حزنه، ويغرسُ فيها الثبات والصمود، ويشكل فضاءاتٍ أخرى متعدّدةٍ في شعره، وكل ذلك؛ ليخلق في نفسه أملا، يُسِهم في نيْل حريته، ويساعده على فتح نوافذ إلى العالم الخارجي، الذي يُنسيه واقعه الذي يعيشه، فيصبح بهذا الاستحضار، ومافيه من خيال وأحلام قد أفرغ فيها كل آهاته وأوجاعه، كأنَّه يعيش في عالم الحريَّة المأمول، مما يخفّف وطأةَ الحياةِ التي يحياها داخل السّجن.

ويسعى هذا البحث إلى كشف المأمول بالنسبة للشاعر العبَّاسيّ السَّجين، ومدى قدرته على تشكيل رؤيةً جماليَّةً لحياته داخل السّجن.

الكلمات المفتاحيَّة: استحضار المأمول–السّجن– فضاءات شعريَّة– العصر العبَّاسيّ.

مقدمة:

يهدفُ هذا البحث إلى إلقاء الضوءِ على ما يأمله الشاعرُ السّجينُ في العصر العبَّاسيّ، ويستحضره في شعره، وذلك من خلال الغوص في أعماقه النفسيَّة والوجدانيَّة، وبيان ما أصابه من قهرٍ وكبتٍ، من أثر تلك التجربة المريرة، ويلفت الانتباه إلى أدب السّجون الذي يشكِّل جزءًا من تراث أدبنا العربي، فالخوف من الحُكَّام، والاهتمام بالأدب الرسمي، كان سببًا وراء بقاء كثيرٍ من هذا الأدب خلف الجدران، بالرغم من أن لدينا من هذا الأدب ما يمثِّل "مادة هائلة تطالب الباحثين بفحصها، وتحليل خطابها، وتتبع سماتها، وأشكال حوارها مع واقعها التاريخي"(١)، كما يهدف –البحث أيضًا– إلى مكاشفة تلك الرؤى والفضاءات التي يستحضرها خيال الشاعر السجين؛ تخفيفًا لهمومه وآلامه.

وتتضح أهمية البحث، وسبب اختياره في أنّ شعر السّجون يمثِّل في أدبنا العربي واقعًا متميزًا، "ذلك أن هذا الأدب قد خُطَّ، وقيل بين جدران السّجن القاتمة، وفي سراديبه المُعْتِمة، أو ربما نطق به سجينٌ أمام نَطُعٍ قد نُشر، وسيفٍ قد انتضى"(٢) وهو "أداةٌ فنيةٌ للوعى بمصير الإنسان وتاريخه ونفسيته ووضعه في المجتمع، فهذا الأدب يشير إلى مواضع الألم والخلل والقهر، وفيه يرى الإنسانُ نفسه بوضوح"(٣) لذا فهو له سماته الخاصة التي تستحق الدراسة، كـ" العفويَّة والرمزيَّة والشفافيَّة والصور الإيحائيَّة،

١– رضوى عاشور وآخرون: أدب السجون "مجموعة مقالات لبعض الكُتَّاب"، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة، سنة ٢٠١٤م، ص ١١.

٢ – مي أحمد يوسف: أدب السجون في العصر العباسي، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، جامعة اليرموك– الأردن، المجلد العاشر، العدد الثاني، سنة ١٩٩٥م، ص ٨٠–٨١.

٣– نصر الدين صوالح: مقاربة بنيوية تكوينية مقارنة في أدب السجون، ط/ الجزائر، سنة ٢٠١٦م، ص ٦.

وسلاسة اللغة، وطلاوة التعابير"([1])، وهو يعكس حياة الشاعر النفسيّة والفكريّة، وأثر المكان الذي يعيش فيه، في إثارة طاقاته الإبداعيَّة والفنيَّة الكامنة داخله، ومن ثمَّ تُعدّ هذه النصوص مادة دسمة للدراسات الأدبيَّة عامة، والنفسيَّة خاصة، كما تكشف – أيضا– عن جوانب الضعف لدى هؤلاء الشعراء، حتى عند الشجعان حقًا، أو عند من يدّعي الشجاعة والبطولة منهم، وستنجلي هذه الأهمية أكثر من خلال انتخاب أمثلةٍ حيَّة؛ لبيان أثر تجربة السّجن في استحضار الشاعر العبَّاسيّ لذات الله وصفاته، ولأناه، وفي قدرته على صناعة رؤى وفضاءات تعكس خلود شعره، الذي وُلِد في قيعان السّجون العبَّاسيّة وظلمتها.

ويحاول هذا البحث أن يجيب عن بعض الأسئلة المطروحة، نحو: ما الذي يستحضره الشاعرُ العبَّاسيّ السّجينُ في نفسه؛ تخفيفًا لمعاناته، وأملا في حريته؟ وهل لهذه التجربة المريرة أثرها في إبداع الشاعر وفنِّه؟ وهل استطاع الشاعرُ العبَّاسيّ أن يقدِّم لنا رؤيةً جماليَّةً واضحةً وصريحةً لرسم صورته داخل السّجن؟ وهل معجمه الشعري، وصوره الفنيَّة، عبَّرا عن هذه الرؤية الجماليَّة؟ وهل يعتبر هذا الشعر شهادة على هذا العصر والمجتمع، وسبيلا لفهم بعض الواقع السياسي والثقافي للدولة العبَّاسيّة؟

وللإحاطة بجوانب الموضوع وجدتني أحتاج إلى عدّة مناهج مختلفة، منها: المنهج التاريخي لمعرفة الأسباب التي أدت إلى سجن هؤلاء الشعراء، وهذا شيء مهم، فهو يعكس صوت النغمة التي يتحدث بها الشاعر، فإن كان مظلومًا نرى نغمته الشعريَّة مرتفعة قوية، وإن كان يستحق السّجن، نراها خافتة ضعيفة، وكأنّها تخرج على استحياءٍ، ثم المنهج النفسي للكشف عن أثر تجربة السّجن في نفسيَّة الشعراء، وانعكاس

[1] – شاكر فريد: قراءة عاجلة في أدب السجون، ط٢/ مطبعة القدس– فلسطين، سنة ٢٠١٢م، ص ١٩.

ذلك على إبداعهم، كما اعتمدت على المنهج الاستقرائي التحليلى لقراءة النصوص الشعرية وتحليلها.

وهناك العديد من الدراسات التي أفادت هذا البحث، وقد تحدثتْ عن شعر الأسْر والسّجن بصفة عامة، لكن –في حد علمي– لا توجد دراسة تختص بما قدمته هذه الدراسة، ومن هذه الدراسات السابقة – على سبيل المثال لا الحصر – ما يلي:

١– د.حسن منصور وآخرون: دواعي سَجْن الشعراء في العصر العبَّاسيّ الأول، مجلة جامعة كردفان للآداب والدراسات الإنسانية– السودان، العدد الثاني، يونيو٢٠١٣م، وبيَّنت هذه الدراسة أهم الأسباب التي أودت ببعض شعراء العصر العبَّاسيّ الأول إلى غياهب السّجن، سواء كانت دينية أو سياسية أو شخصية.

٢– عامر عبدالله عامر: تجربة السّجن في شعر أبي فراس الحمداني، والمعتمد بن عبَّاد، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا– جامعة النجاح الوطنية–فلسطين، سنة ٢٠٠٤م، وقد عقدت الدراسة مقارنة بين الشاعرين؛ لبيان جوانب الاتفاق والاختلاف بينهما من حيث: أثر التجربة، والأغراض الفنيَّة، والعاطفة، و...إلخ.

٣–مي أحمد يوسف: أدب السجون في العصر العبَّاسيّ، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، جامعة اليرموك– الأردن، المجلد العاشر، العدد الثاني، سنة ١٩٩٥م، وقد عرضتْ الباحثة لأهم نصوص أدب السّجون في العصر العبَّاسيّ الثالث، خاصة النثريَّة، ووجدتْها تقع في ثلاثة أقسام، هي: المراسلات– المحاورات والمناظرات– الخواطر.

٤–علي عباس المصري: الصورة البيانيَّة عند شعراء السجون في العصر العبَّاسيّ، مجلة جامعة الخليل للبحوث، المجلد(٤)، العدد(١)، سنة ٢٠٠٩م، وهدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على التشكيل الفنيّ عند شعراء السّجون، من خلال التركيز على مستويين فنيين، هما: التشبيه والاستعارة.

وقد تشكّل البحثُ من مقدمةٍ، تضمّنتْ: أهمية البحث، وإشكالياته، ودوافع الاختيار، ثم الدراسات السابقة، والمنهج الذي اعتمدتْ عليه الدراسة، وقد قُسِّمتْ الدراسة إلى ثلاثة محاور، هي:

المحور الأول: استحضار عظمة الخالق.

المحور الثاني: استحضار الأنا.

المحور الثالث: استحضار رؤى وفضاءاتٍ أخرى.

ثم الخاتمة، التي تتضمَّنتْ أهم النتائج، ثم ثبتٌ بالمصادر والمراجع.

والله ولي التوفيق،،،

المحور الأول: اسْتحضار عظمة الخالق

حيمنا يدخل الشاعر الذي اعتاد على الحريَّة السّجن، بضيقه وظلامه وكبته، تظلم الدنيا أمام عينيه، وتضيق عليه نفسه، حتى توشك أن تخرج من بين ضلوعه، ولكونه مبدعًا، تجيش أحاسيسه ومشاعره بفيوضات الأدب، يضطر لزامًا أن يُخرِج مكبوتاته النفسيَّة في أبياتٍ شعريةٍ رائعةٍ، تعبّر عن حاله وسط هذا الضيق، ولا يجد من بين هذا العالم كلِّه أحدًا يلجأ إليه سوى الله عز وجل، فهو ناصره ومنقذه مما هو فيه، فنراه يستحضر صفات الله، التي تدل على الرحمة بالمظلومين، والقدرة على الظالمين، ويكثر من ذكره، وتكرار لفظ الجلالة، والكلمات التي تعبر عن الرضا بقضاء الله وقدره؛ لما يبعثه ذلك من راحةٍ نفسيَّة، وإطمئنانٍ داخلي يتقَّوى به، ويتصبَّر على ذلك البلاء الذي نزل به، كما أن استحضار عظمة الله في قلبه ولسانه، تمثّل تعزيةً لنفسه عن مصيبته التي حلَّت به، وما تركته من أثرٍ سلبي فيها، وفي السّجن نجد أفجر الشعراء وأفسقهم يلجأ إلى الله، ويلهج بذكره؛ لأنه أدرك الآن أن الله هو منقذه الوحيد.

والمطّلع على شعر الشعراء الذين حُبسوا في العصر العبَّاسيّ يلحظ أن سمة استحضار الخالق وردت على ألسنة معظمهم، وبصورٍ شتَّى، وكلها يغلب عليها طابع الانكسار، والذل لله سبحانه، فأبونواس–ت ١٩٩هـ– الذي عُهِد عنه الخلاعة والمجون، أول ما وطئت قدماه أرض السّجن رفع عقيرته إلى الله سبحانه، فلا الغلمان تؤنس وحدته، ولا الخمر تفرّج همَّه، لا شيء إلا الله، يقول أبو نواس:

يا ربِّ إنَّ القومَ قدْ ظلمُـــونِي   وبلا اقْترافِ معطِّلٍ حبسُونِي

وإلى الجُحودِ بما عليهِ طويَّتِي   ربِّي إليكَ بكذبهمْ نسبُونـــي

مَا كانَ إلَّا الجريُ في ميدانهمْ   في كلِّ خِزيٍ والمجانةُ ديْنِي([1])

---

[1]– أبو نواس: الديوان: ت: سليم خليل قهوجي، ط/ بيروت، سنة ٢٠٠٣م، ص ٦٦٣.

وكان قد اتُّهم بالزندقة، فـ"الشعراء المتماجنون من أمثال أبي نواس، رغم إحاطة كثير منهم بالإسلام وعلومه، يعرفون مبادئ تلك الديانات –البشريَّة– ومراميها، ويتراشقون التُّهم بها جدًا ومزاحًا"([1])، لكن يبدو أن هناك اعتبارات سياسية لحبس الشعراء آنذاك، فقد حبسه الرشيد لمَّا غاظه من عصبيته على النزاريَّة([2])، وهي التي كانت سببًا في حبس الشاعر، بعد أن شهد عليه شهَّاد الزور، وأبى عليه الخليفة أن يقدم أعذارًا، أو يحلف أيمانًا – كما ورد في شعره– وهو نفسه يعترف بفسقه ومجونه، وبعده كل البعد عما يوجب عليه السّجن، والأبياتُ تصور ذُلَّ أبي نواس وانكساره لربه بكل صدق وإخلاص، وقوة عاطفة، فهو يناشد ربه بأن القوم قد ظلموه واتَّهموه باطلا دون دليلٍ قاطع على زندقته، وقد جاء صدر الشطرة الأولى ليوضح يأس أبي نواس من البشر، فيلجأ إلى رب البشر، وهو الفاسق الماجن، لكن قهر الظلم، وظلام السّجن، يستحضرا الذات العليَّة في القلب مهما كان صاحب هذا القلب ماجنًا.

وفي الحبس يرضى الشاعر بقضاء الله وقدره، ويوطِّن قلبه على الرضا بما وصل إليه، وأنه لا راد لأمر الله، وهو بذلك يخفف عن نفسه وطأة المصيبة التي هو فيها، ويعزيها بذلك، ويسري عنها، وقد تمثَّل ذلك في شعر معظمهم، كأبي فراس الحمداني–ت ٣٥٥هـ– الذي لا يمكن لدارس يبحث في أدب الأسر والسّجن إلا ويعرِّج عليه، وقد حُبس في أرض الروم لسنوات عدة، حتى ضاقت به السبل، لذا نجد أن استحضار الذات العليَّة في شعره تَمثَّل بشكلٍ ملحوظ، ومن ذلك ما كتبه إلى أخيه أبى الهيجاء حرب بن سعيد، يقول:

وهل يدفعُ الإنسانُ مـا هوَ واقعٌ وهلْ يعلمُ الإنسانُ ما هوَ كاسبُ

١– د.حسن منصور وآخرون: دواعي سجن الشعراء في العصر العباسي الأول، مجلة جامعة كردفان للآداب والدراسات الإنسانية– السودان، العدد الثاني، يونيو ٢٠١٣م، ص ٢٧٧.

٢ – السابق، ص ٢٧٧.

وهلْ لقضاءِ اللهِ في الخلقِ غالبٌ وهلْ لقضاءِ اللهِ فـي الخلقِ هاربُ
إذا اللهُ لمْ يحرسْكَ ممَّا تخـــافهُ فَلا الدرعُ منَّاعٌ ولا السيفُ قاضبُ(١)

يستفهم أبوفراس بما يفيد النفي بأن الإنسان لا يستطيع أن يدفع عنه قضاء الله الواقع به، وهو لا يعلم ما ادَّخره الله له، ويتضح في هذه الأبيات قنوط الشاعر من أصحابه، فلجأ إلى الله– سبحانه– مسلمًا بقضائه، ومؤمنًا بالغيب، وبقدر الله، الذي إن لم يحرسه فلا حارس سواه، وقد كرر كلمتي:" قضاء الله" مرتين، خضوعًا وتسليمًا لله.

ومن أسْره وقد طالت مدته، وثقلت جراحه، يبعث إلى والدته العجوز، يشكو حاله ويعزيها فيما ألَّم به وبها من مصيبة، وقد استحضر قدرة الله وعظمته، والرضا بحكمه على عباده، مكررًا لفظ الجلالة "الله"، أربع مرات في ثلاثة أبيات، يقول:

مصابي جليلٌ والعزاءُ جـــميلُ وظنِّي بأنَّ الله سوف يُديلُ
ومنْ لمْ يوقِّ اللهُ فهو مُمزقٌ ومنْ لمْ يعزِّ اللهُ فهو ذليلُ
ومنْ لمْ يردهُ اللهُ في الأمرِ كلِّهِ فليسَ لمخلوقٍ إليهِ سبيلُ(٢)

فمصيبته جليلة حقًا، لا يقوى على تحمّلها أحد، لكن الشاعر يظن بربه خيرًا، وأنه سوف يزيح عنه هذه المصيبة، ثم يعزي نفسه ويصبّرها، مذكرًا إياها بأن مَن لم يقه الله، فلا واقي له، وما لا يريده الله، فليس لأحدٍ عليه سبيل، وفي هذه القصيدة يتحدّث أبوفراس الحمداني "عن ظاهرة فريدة تصيب الأسير، وهي طول ليل السّجن"(٣)، مما

---

١ – أبو فراس الحمداني: الديوان، شرح: د. خليل الدويهي، ط٢/ دار الكتاب العربي– بيروت، سنة١٩٩٤م، ص ٤١.

٢ – السابق، ص ٢٥٢–٢٥٣.

٣– عامرعبدالله عامر: تجربة السجن في شعر أبي فراس الحمداني والمعتمد بن عبَّاد، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا– جامعة النجاح الوطنية– فلسطين، سنة ٢٠٠٤م، ص ١٠٤.

يجعله دائم استحضار صفات الله ونصرته للمظلومين، يسرّي بها عن نفسه في هذه الليالي الطويلة، وقد اهتمّ الشاعر في هذا المقطع بالبديع، خاصة في البيت الأول: "جميل– جليل– يديل"؛ جذبًا للقارئ؛ ليشاركه حالته النفسيَّة المقهورة.

وقريبًا من هذا المعنى، جاءتْ شحنةٌ صادقةٌ مفعمةٌ بالعاطفة الحارّة، مع براعةٍ في التصوير، ودقةٍ في التعبير، من الشاعر علي بن الجهم–ت ٢٤٩هـ– وقد كان من ندماء الخليفة المتوكل، ومعه البحتري ومروان بن أبي الجنوب، وغيرهما، فكادوا له حسدًا من عند أنفسهم لدى المتوكل، وزعموا أنه ينظر إلى نساء القصر، فغضب عليه المتوكل وألزمه بيته، ولم يسمع منه، وأمره ألا يترك بيته فانقطع عن القصر، ولم يتوقف الندماء عند هذا الحد، ولكنهم أخبروا المتوكل بأن علي بن الجهم شديد الطعن له، ويعيب عليه أخلاقه، فأمر المتوكل بحبسه([1])، وكان أول ما قاله في السّجن قصيدة بعث بها مع أخيه إلى المتوكل، يقول فيها:

توكَّلنا علـــــى ربِّ السمـاءِ وسلَّمنا لأسبابِ الـــقضاءِ
وأفنيةُ الملوكِ مـــــــحجَّباتٌ وبـــابُ اللهِ مبذولُ الفنـاءِ
فما أرجُو سواهُ لكشفِ ضُرّي ولمْ أفرغْ إلى غيرِ الدعاءِ
ولم لا أشتكي بثّي وحـــزني إلى من لا يصمُّ عن النِّداءِ([2])

وقد أحسن الشاعر، إذ بمجرّد دخوله السّجن لم يرد على خاطره أحدٌ سوى الله، فلم يستعطف خليفةً ولا وزيرًا ليعفو عنه، إنما أعلن توكّله على الله، وتسليمه لقضائه بقلبه ولسانه، وناداه في ألفاظٍ مهذبةٍ رقيقةٍ، وكلامٍ سهلٍ، نبع من نفسٍ راضيةٍ، متوكلةٍ على

---

[1] – د.مصطفى الشكعة: الشعر والشعراء في العصر العباسي، ط/ دار العلم للملايين– بيروت، سنة ١٩٩٣م، ص ٢٥٥(بتصرف).

[2]– علي بن الجهم: الديوان، ت: خليل مردم بك، ط/ لجنة التراث العربي – بيروت، سنة ١٩٨٩م، ص ٨١.

مدبّر أمرها، فالشاعر لا يرجو سواه لكشف ضرّه، وواضح تأثر الشاعر بقصة سيدنا يوسف –عليه السلام– وشكوى يعقوب النبي إلى الله: "**إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ**"([1]).

ونلتقي بالشاعر إبراهيم بن المدبر– ت ٢٧٩هـ – وقد كثرت الآراء في سبب حبس الخليفة المتوكل له، لكن نكتفي برواية أبي الفرج، الذى يروي قائلا:" كان أحمد بن المدبر وَلِيَ لعبيد الله بن يحيى ابن خاقان عملا، فلم يحمد أثره فيه، وعمل على أن ينكبه، وبلغ أحمد ذلك فهرب، وكان عبيدالله منحرفا عن إبراهيم، شديد النفاسة عليه برأي المتوكل فيه، فأغراه به وعرَّفه خبر أخيه، وادَّعى عليه مالا جليلا، وذكر أنه عند إبراهيم أخيه، وأوغر صدره عليه، حتى أذن فى حبسه"([2])، ومن محبسه قال ابن المدبر أشعارًا كثيرة، روتها المصادر التي ترجمت له، منها مستحضرًا من صفات الله رحمته وفرجه، يقول:

وعن قَدَرٍ حُبستُ فلا تضِّلي وفيما قدَّر اللهُ الخيـارُ

سيفرجُ ما ترينَ إلـــى قليلٍ مُقدِّره وإن طال الإسارُ([3])

فما كان حبسه إلا قدرًا من الله سبحانه، وهو ممتثلٌ لذلك تماما، فمهما طال هذا الحبس سيأتي الفرج، والأبياتُ فيها استسلامٌ من الشاعر لله، وخضوعٌ لأمره، وعدم إظهار الجزع والخوف، وقد أيقن بالفرج، يقينًا بالله سبحانه.

ونعرِّج على الشاعر أبي العتاهية–ت ٢١٣هـ– وقد حبسه الخليفة المهدي؛ لأنه تغزّل في جاريته "عتب"، ثم حبسه الرشيد، فاستعطفه الشاعر كثيرا ليفرج عنه، لا سيما

---

[1] – **سورة يوسف، آية (٨٦).**

[2] – **أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، سنة ١٩٩٦م، ج ٢، ص ١٥٤.**

[3] – **يونس الشيخ إبراهيم السامرائي: تاريخ شعراء سامراء من تأسيسها حتى اليوم، ط/ دار بصرى– بغداد، سنة ١٩٧٠م، ص ٢٤.**

أنه لم يقترف إثمًا، فقط كف عن الغزل، مرتديا لباس الزهد، والرشيد لم يقتنع بذلك، فيروي الحصري في زهر الآداب أن الخليفة هارون الرشيد لما قدم الرقة، "أظهر أبوالعتاهية الزهد والتصوف، وترك الغزل، فأمره أن يتغزل، فأبى، فسجنه...وأمر بإحضاره، وقال: بالإمس نهاك أمير المؤمنين المهدي عن الغزل فتأبى إلا لجاجًا ومحكًا، واليوم آمرك فتأبى جرأةً عليّ وإقدامًا؟! فقال: يا أمير المؤمنين إن كنت أقول الغزل ولي شباب وجدة، وبي حراك وقوة، وأنا اليوم شيخ ضعيف، لا يحسن بمثلي تصاب"([1])، لكن الرشيد حبسه، وضيق عليه حتى يقول الشعر الرقيق في الغزل، كما كان يقول، فصاح أبوالعتاهية فى محبسه:

مَنْ لعبدٍ أذلَّه مولاهُ مالُهُ شافعٌ إليــهِ سواهُ

يشْتكِي ما بهِ إليهِ ويخْشاهُ مثل ما يخْشاهُ([2])

لكن الرشيد لا يستجيب له، فيجزع أبوالعتاهية جزعًا شديدًا، ويحاول أن يظهر صبره وجلده على ضيق السّجن راغمًا، وأنه ترك جسمه وقوته في سبيل الله، مادام أراد- سبحانه- ذلك، يقول:

صبرتُ، ولا واللهِ ما لــي جلادةٌ على الصبرِ لكن صبرتُ على رغمي

ألا في سبيلِ اللهِ جسمي وقوتي ألا مسعدٌ حتى أنوحَ على جسمي([3])

قد نفذ صبره، على عكس كثير من الشعراء الذين يظهرون صبرهم وجلدهم، ولا يأبهون بمرارة السّجن، حتى لو كان ذلك قولا فقط، لكن أبا العتاهية يصرح بأنه لا طاقة له على الصبر، وأنه بذل جسمه وقوته في سبيل الله، استعطافًا للرشيد الذي ضيَّق عليه

---

[1] - الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب، ت: صلاح الهواري، ط/ بيروت، سنة ٢٠٠٩م، ج٢، ص ٤٢.

[2] - أبو العتاهية: الديوان، ت: كرم البستاني، ط/ دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت، سنة ١٩٨٦م، ص ٤٧٠.

[3] - السابق، ص ٤٠٩.

الحبس تضييقًا شديدًا، فلا يجد أحدًا يلوذ به من ظلم الرشيد سوى الله سبحانه، فيحيل قضيته بأسرها إلى الله، ويناجي ربه في أبيات هي خير ما قيل في الظلم، يقول:

أمَا واللهِ إنَّ الظلمَ لُـــــــومُ ولكنّ المسئَ هو الظَّلُومُ

إلى ديَّان يومَ الدِّينِ نمضي وعندَ اللهِ تجتمعُ الخصومُ

ستعلمُ في الحِسابِ إذا التقيْنا غدًا عندَ الإلهِ مَنْ المَلُومِ([1])

يئس من الرشيد يأسًا تامًا، فلم يجد ملاذًا سوى الله، في أبيات تدل على تبرم شديد من الظلم، وقد خرجت من القلب إلى أبواب ديان يوم الدين، مما جعلها أنشودة كل مظلوم، يشتكي فيها إلى ربه، وقد يرتدع بها كل ظالم، حتى إن الرشيد لما سمعها أطلق سراحه، وقد جاءت شكواه إلى الله ممزوجة بالحسرة، مما أضفى على الأبيات قدرًا من الحزن، تدعو للتعاطف معه ضد ظلم الخليفة الرشيد، وكذلك تصور نفسه المنكسرة، التي عزاها الصبر وحده، وتوضح حالة اليأس الذي ألم بها.

أما إبراهيم بن الخليفة المهدي–ت ٢٢٤هـ– فقد بايعه أهل بغداد بعد مقتل محمد الأمين، ولمّا ظهر قواد المأمون، استخفى، ولم يزل كذلك مدة طويلة، حتى قُبض عليه، وحبسه المأمون ستة أشهر، وأهدر دمه، ثم عفا عنه، وكان مغنيًا وشاعرًا([2])، ومن محبسه أنشد أبياتا تدل على تسليمه التام لقضاء الله، وإن اختلف المترجمون في نسبة هذه الأبيات لأكثر من شخص، يقول:

هي المقاديرُ تجري في أعنَّتِها فاصبرْ فليسَ لها صبرٌ على حالِ

---

[1] - أبو العتاهية: الديوان، ص ٣٩٨.

[2] – الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ت: محمد أبوالفضل إبراهيم، ط٢/ دار المعارف، سنة ١٩٦٧م، ج٨، ص ٥٧١.

ما بينَ طرفةِ عينٍ وانْتباهَتها يغيَّرُ اللهُ من حالٍ إلى حـــــالِ(١)

بيتان من أجمل ما قيل فى الحكمة، والتسليم التام لقضاء الله وقدره، حتى جرت مجرى الأمثال، فكل الأمور بيد الله سبحانه، يجريها كيف يشاء، وحال المرء لا يدوم، ففي طرفة عين تنقلب الأمور، ويغير الله ويبدل كيف يشاء، فالصبر على مرارة السّجن والرضا به، هما عين الحق.

المحور الثاني: استحضار الأنَا

بعد أن يستحضر الشاعر في سجنه عظمة خالقه، وقدرته على تفريج همِّه، وقد شكا حزنه وبثَّه إليه، تبدأ الطمأنينةُ تسري إلى قلبه، فيهدأُ، وبمرور الوقت، وشعوره بالفراغ الشديد، يبدأ في استحضار أناه، ويعبّر عن خلجات نفسه التي تعكس واقعه المرير، وقساوة التجربة التي يعيشها، فيجدّ الشاعر في استحضار أناه، والحديث إليها وعنها تسلية وتعزية لما أصابه، إذ يبث إليها همومه وأحزانه، وغالبا ما يذكر أنه سُجِن ظلمًا، ودونما سبب يُعرف يستحق عليه العقاب، ونجد حديثه عن أناه يتراوح بين حثِّها على الصبر، وضرورة تحمل الظلم والآلام الناجمة عن حبسه، وتصويرها بأنها راضية بقضاء الله، صابرة على ابتلائه ومحنته، وأن الحبس هذا لا يضيرها في شيء، فنراه قد يفخر بنفسه، ويصورها أنها عالية سامقة في السماء لا تقهر، والسّجن إنما هو لحظات عابرة وستمر، وكثيرًا ما يرسم لنفسه دور البطولة والشموخ والصبر على الذل والهوان، ورويدًا رويدًا، ومع طول الوقت، يبدأ الانهيار النفسي، ويظهر جانب الضعف وعدم

١- د. محمد مصطفى أبوشوارب: شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ونثره، ط١/ الإسكندرية- مصر، سنة ٢٠٠٨م، ص ٣٢٣.

التحمّل، وهذا يدفعه إلى الاستعطاف والرجاء والتودد، وعلى الجانب الآخر يخلق لنفسه عالما آخر غير الذي يحياه.

ومعروفٌ أن الخليفة الرشيد قد حبس أبا العتاهية، الذي غيَّر عادة الشعراء الذين سُجِنوا في عصره، في حث أنفسهم على الصبر وإظهار البطولة، وعدم الاكتراث بما حلَّ بهم، أما هو فمنذ أن وطئت قدماه أرض السّجن، راح ينحب ويبكي، ويظهر من الخنوع والخضوع الكثير، وربما أراد بذلك استدرار عطف الخليفة وترقيق قلبه، فراح يرثي نفسه وهو في حبس الرشيد – كما ورد في عنوان القصيدة في الديوان– قائلا:

أيَا وَيحَ قلبي من نَجيّ البــلابِلِ ويا ويحَ ساقِي من قروحِ السَّلاسلِ

ويَا ويحَ نفسي ويحَها ثمّ ويحَها ألمْ ننجُ يومًا من شباكِ الحـــــبائلِ

ويا ويحَ عيني قد أضرَّ بها البكا فلمْ يغنِ عنها طبُّ ما في المكاحلِ([1])

صراخٌ كصراخ النساء، وجزعٌ كجزعهن عند تلقي المصيبة، وقلبٌ ينفطر من شدة الهموم التي تراكمت عليه، فساقه قد تقرَّحت من السلاسل، ونفسه تكالبت عليها المصائب، وعينه أضرَّها كثرة البكاء، حتى لا ينفع فيها الطبُّ، فهو يعزي نفسه التي تشبه الأموات، والأبيات تصور نفسًا جزعة ملتاعة، لا تقوى على الصبر، ويتضح ذلك من تكرار كلمة "ويح" ست مرات؛ ليصور الضرر الذي أصابه من جرّاء هذا السّجن، كما جاءت الكلمات: "البلابل– قروح – حبائل– أضر – البكا – رهينة"، تعكس حالة البؤس والشقاء التي وصل إليها أبوالعتاهية، ولو أظهر أي لون من ألوان الصبر والبطولة، وهو الزاهد الورع، لكان خيرا له من هذا العويل والصراخ.

أما أبوفراس الحمداني فقد أكثر من الأبيات والمقطوعات، بل والقصائد التي يتحدث فيها عن نفسه، فخرًا وقوةً وصمودًا وصبرًا وشجاعةً، لكن أكثر المقاطع تأثيرًا

[1] – أبو العتاهية: الديوان، ص ٣٨٤.

في النفس، تلك التي قالها حينما سمع حمامةً تقف على فرع شجرة تنوح بقربه، فقال مخاطبًا إياها، ومتذكرًا أمَّه العجوز التي ينفطر قلبه عليها:

أقولُ وقد ناحتْ بقربي حمامةٌ أيَا جَارتا هلْ باتَ حالُك حالِي

أيا جَارتا ما أنصفَ الدهرُ بينَنَا تعاليْ أُقاسِمكِ الهمومَ تعالِي

أيضحكُ مأْسُورٌ، وتبكي طليقةٌ ويسكُتُ محزونٌ وينْدُبُ سالِ([1])

كل كلمة هنا تذرف دمعًا، وتخرج آهةً وحسرةً لما آل إليه حاله، وهو البطل الشجاع، وقد هيّجت الحمامةُ النائحة أشجانه وأحزانه، فراح يبث إليها لواعجه، ويقاسمها همومه وأتراحه، ويتعجب من أمرها، فكيف وهي الحرة الطليقة تبكي، وهو الأسير السجين يضحك؟! وتحمل هذه الأبيات في طياتها فخرًا عودنا عليه أبوفراس في رومياته، ويلفت نظرنا إلى قيمة الحرية للسجين التي لا تعادلها قيمة أخرى، وقد أفلح الشاعر في الإكثار من أصوات المد واللين؛ لتتناغم مع الحالة النفسيَّة التي تشيع عبر القصيدة، فأصوات المدِّ ساعدت الشاعر على تفريغ مكبوتاته، وشُحَنِه النفسية، فهو في حاجة إلى صراخٍ وبكاءٍ وعويلٍ، وكل ذلك بحاجة إلى نغمةٍ ممدودةٍ نجدها في أصوات المد.

وقد دأب كثيرٌ من الشعراء على تحويل أزْمتهم إلى مسار الفخر، وإقناع أنفسهم وغيرهم بأن الحبس طالما لم يُرتكب بسبب جريمةٍ من الجرائم، فلا يكون إلا للشجعان الأبطال، فيكثرون من التشبيهات والصور البيانية، محاولة منهم في شدة الإقناع والتأييد لرأيهم، وقد اشتهر الشاعر إبراهيم بن المدبر بالفخر في معظم حبسياته، وبالإسراف في الصور البيانية، فهو غالبا ما يصور نفسه بطلا صنديدًا، ومن ذلك قوله:

هو الحبسُ ما فيه عليَّ غَضَاضةً وهلْ كان في حبس الخليفةِ من عارِ

[1]- أبو فراس: الديوان، ص ٢٨٢.

وما أنا إلا كالجوادِ يصـــــــونُهُ مقوّمُهُ للسبقِ في طيِّ مضمـــــــارِ
أو الدرّةِ الزهراءِ فـــــي قعرِ لُجَّةٍ فلا تُجْتَلي إلا بهولٍ وأخطـــــارِ([1])

يعبر الشاعر تعبيرًا جميلا، يدل على ذكاءٍ شديدٍ، وقوةٍ في الإقناع، فليس في السّجن أي غضاضة، وكيف يكون ذلك، وهو بأمر الخليفة نفسه؟! ثم يسوق الحجج والبراهين التي يحاول بها أن يدلل على ذلك، مصورًا نفسه بالجواد الجامح الذي حبسه صاحبه، صيانةً له وحفاظًا عليه؛ ليطلق عنانه يوم السّبق، وكأن الخليفة ضنَّ به عن الناس فحبسه، ثم يشبه نفسه بالدرة غالية الثمن، وقد حُبست في صَدَفةٍ في قعر بحرٍ مظلم، لا يجتليها الغواصون إلا بعد لأيٍ شديدٍ، ومواجهة أخطار ليست سهلة، فهو في محبسه هذا يشبه تلك الدرة، وكما صوَّر إبراهيم بن المدبر نفسه بالدرة المصونة داخل صَدَفةٍ، صورها أيضا بالسيف، يقول:

لاتؤْيسنَّكَ من كريمٍ نبوةٌ فالسيفُ ينبو وهو عضبٌ باترُ([2])

شبه لشاعر نفسه وهو مسجون بالسيف الباتر القاطع الذي يخفق مرة، وإن كان الشاعر لم يوفق جيدًا في تشبيهه، فالمقارنة بين دخول الشاعر السّجن، والسيف الذي يخفق، تبدو بعيدة وغير مستساغة، لكن الصورة التي يريد الشاعر توصيلها: "أن لكل جواد كبوة"، وقد جعل الشاعر السّجن هنا منقصة، دون أن يشعر أنها عكس الصورة السابقة التي يرى فيها أن السّجن لا غضاضة فيه، وقريبًا من المعنى السابق نجد المتنبي يقول في سجنه:

---

[1]- يونس الشيخ إبراهيم السامرائي: تاريخ شعراء سامراء من تأسيسها حتى اليوم، ص ٢٥.
[2]- السابق، ص ٢٤.

كنْ أيَّها السّجن كيفَ شئتَ فقدْ وطَّنتُ للموتِ نفسُ مـعترفِ

لوْ كانَ سُكنَاي فيكَ منقصـــةٌ لمْ يكنِ الدرُّ ساكنُ الصَّدَفِ(١)

يبدو أن أبا الطيب قد سُجن في بداية حياته عندما اتَّهموه بأنه ادَّعى النبوة، ولكن أبا الطيب وأمثاله كلما تعرضوا لمحنٍ كان ذلك من حظ الأدب، وهو هنا يظهر بمظهر القوي الذي لا ينحنى لريحٍ مهما كانت عاتية، فلتكن مرارة السّجن مهما كانت، فقد وطَّن نفسه على أشد من ذلك، ولو كان الموت نفسه، ثم يسوق الدليل المقنع، فالدرُّ القيّمُ يسكن الصدف الردئ الذي لا قيمة له، وقد شبَّه نفسه بالدّر، وهي أنَا المتنبى الشامخة التي عودنا عليها، ولعل علي بن الجهم كان أكثر الشعراء قوةً وصبرًا، وأخفهم جزعًا مما مرَّ به من أهوال في سجنه، فنراه دائمًا يصور نفسه بأنها صلبة لا تأبه بشيء، ولا تتخاذل في المصائب، ولا تهزها نوائب الدهر، يقول:

هيَ النفسُ ما حمَّلتها تَتحـــمَّلُ وللدهرِ أيامٌ تجورُ وتعــدلُ

ولا عارَ إن زالتْ عن الحرِّ نعمةٌ ولكنَّ عارًا أن يزولَ التجمُّلُ(٢)

فنفسه قويةٌ تتحمل تقلبات الدهر، فأين العار على رجلٍ حرٍّ زالت عنه النعمة؟! فكل امرئٍ عرضة لذلك، لكن العار الحقيقي على من لا يقوى على الصبر، ويجزع لنوبات الدهر، ولا يتجمَّل، وواضح أثر الحكمة الممزوجة بالفخر على أبيات الشاعر، التي ترسم حالة الأنا عنده، والتي تسير في خط بياني مستقيم، فنبرة الفخر تطل علينا في كل أبياته في الحبس، ومنذ أن دخل ابن الجهم الحبس وقد "دخل متعاليا على النكبة، مستخفًّا بالنازلة، معتدا بالذات، حريصا أشد الحرص على ألا يشمت أعداؤه به،

١- أبوالطيب المتنبي: الديوان، ت: عبدالرحمن البرقوقي، ط٢/ دار الفكر – بيروت، سنة ٢٠٠٢م، ج ٢، ص ٦٣٥.

٢- علي بن الجهم: الديوان، ص ١٦٢.

وألا يقرّ عيون حساده بضعفه، فلم ينظر إلى الحادثة إلا كما ينظر الطود الشامخ إلى الأمواج العاتية التي تصدم سفحه، فهو لا يرى فيها إلا دفقات من الماء جاءت لتغسل قدميه، ثم ترتد عنها خاسئة ذليلة"([1]).

وكانت تهمة الزندقة في العصر العبَّاسيّ من التُّهم المعروفة، ويدخل في إطارها الفُسَّاقُ والمُجَّانُ، ثم اتَّسع المصطلح بعد ذلك ليدخل فيه كل من يعارض الخلفاء العبَّاسيين أو يغضبهم لأي سببٍ كان، ثم بات المصطلح تهمة سياسية يتبادلها كل المختلفين والمتنافسين علي رضا الخليفة، وقد اتّهم بها كثير من الأدباء والشعراء، وكان منهم الشاعر الفارسي الأصل، صالح بن عبدالقدوس- ت١٦٧هـ- الذي اتهمه الخليفة المهدي بالزندقة، وقتله بها، ويروي أنه قال للمهدي عندما عزم على قتله: والله يا أمير المؤمنين ما أشركت بالله طرفة عين، فاتق الله ولا تسفك دمي على الشبهة، لكن المهدي قتله وصلبه على جسر بغداد([2])، ويبدو أنه طال كثيرًا في محبسه قبل أن يقتل ويصلب، فنراه يقول:

خرجْنا من الدّنيا ونحنُ من أهْلها فما نحنُ بالأمواتِ فيها ولا الأحْيا

إذا دخل السجَّانُ يومًا لحاجـــةٍ عَجبنا وقلنا جاءَ هذا من الدُّنيا([3])

---

[1] - عبدالرحمن رأفت الباشا: علي بن الجهم "حياته وشعره"، ط/ مطبعة شركة التمدن الصناعية- القاهرة، سنة ١٩٦٥م، ص ١٨٣.

[2] - شمس الدين بن خلكان: وفيات الأعيان، ت: د.إحسان عباس، ط/ دار الثقافة – بيروت، سنة ١٩٨٣م، ج٢، ص ٤٨٣.

[3] - عبدالله الخطيب: صالح بن عبد القدوس البصري "عصره، حياته، شعره"، ط/ بغداد، سنة ١٩٨٦م، ص ١٦٣.

وصفٌ دقيقٌ ومخيفٌ للحالة السيئة المشينة التي وصل إليها الشاعر في محبسه، والتي يصح معها قول القائل: إن شعر السجون "أكثر مرجعية، أي أكثر مطابقة للتجربة الإنسانية من لغة سائر الأنواع الأدبية"([1])، فالشاعر في سجنه محسوب على أهل الدنيا، لكنه لا يحيا حياة أهلها، وكأنه من أهل الآخرة، وقد أجاد التعبير في البيت الثاني في وصفه لدخول السَّجَّان عليهم، وتعجبهم منه، وكأنهم مقبورون، وقد أتى ذلك لهم من الدنيا فجأة، وهذا يعكس ما كانت عليه أحوال السجون والسّجناء في العصر العبَّاسيّ، من ظلمٍ وتضييقٍ ومنعٍ، وكأنّ السّجناء أموات، إذا خرجوا بُعِثوا من جديد، على الرغم من أن السّجن "يرتكز دوره المفترض أو المطلوب، كجهاز لتغيير الأفراد"([2]) لا تعذيبهم وقهرهم.

وقد يطول عهد الشاعر بالسّجن كأبي نواس الذي بدأ يتبرَّم من الوضع؛ لاعتياده حياة الحريَّة والعبث واللهو التي كان يمارسها، لذا ضاق عليه سجنه ضيقًا شديدًا، فراح يشكو على غير عادته، ويبوح بمكنونات نفسه المتبرمة، وينشد هاجيًا الفضل بن الربيع، كما ورد فى عنوان القصيدة التي يقول فيها:

فلوْ أنّ خِدْنيَّ القريبينِ أبْصَرا خضوعيَ للسجَّان ما عَرَفاني

ولوْ أبصراني والقيودُ تلفَّنـــي ومشيي إلى البوابِ بالنَّجَشانِ([3])

فلو نظر إليه أصدقاؤه القريبون ما عرفوه من ذلّه وخضوعه التام للسجّان، ومن تغير حاله، وما اعتراه من تحولٍ جسمانيٍّ، لا يستطيع أن يفعل معه شيئًا، وقد لفَّت القيود رجليه، وجعلت في مشيته اضطرابًا، وعدم قوة على الحركة، وتبدو لغة الخضوع

[1] – سامح إدريس: المثقف العربي والسلطة، ط/ دار الآداب، بيروت– لبنان، سنة ١٩٩٢م، ص ١٩.

[2]- ميشال فوكو: المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، ت: علي مقلد، ط/ بيروت-لبنان، سنة ١٩٩٠م، ص ٢٣٦.

[3]- أبو نواس: الديوان، ص ٦٥٦.

والانكسار واضحة في قول أبي نواس، أما الحلاج– ت ٣٠٩هـ– فقد زجَّ بنفسه في التيارات السياسية المضطربة في عصره، واتصل بالسياسة ورجالها، فأصابه ما أصابه، ولولا ذلك ما حدث له ما حدث من تعذيب وصلب وقتل، وما كانت الاتهامات الدينية له إلا اتهامات رسمية؛ لتكون سندًا يستند إليه السلطان([1])، وقد حبسه الخليفة المقتدر بالله العبَّاسيّ في سجن المطبق، في قصته المعروفة، حتى أمر بعد ذلك بإعدامه، وحرق جثته، بإيعاز من (حامد) وزيره المضلل، ويبدو أنها "كانت محاكمة سياسية، وكان قتلا سياسيًا، لبس زورًا ثوب الدين، وتقنع كذبًا بقداسته وحمايته"([2])، وفي السّجن راح الحلاج ينظم قصائده، مستشعرًا الندم على ما حدث، ومن ذلك قوله في السّجن:

نزلتُ بمنزلِ الأعداءِ مـنّي وبنتُ فــلا تزور ولا تُزارُ

كما ذهبَ الحمارُ بأمِ عمروٍ فلا رجعتْ ولا رجع الحمارُ([3])

إنه أهلك نفسه من جرَّاء ما فعل، وما زجَّ نفسه فيه، حتى صار–كما في المثل– كأم عمرو التي هلكت وأهلكت حمارها دونما فائدة، ولما أراد أن يطلب الهدوء والاستقرار، واجتناب الناس كان قد سجن وأمر بقتله، ثم يقول:

طلبتُ المستقرَّ بكــل أرضٍ فــلمْ أرَ بأرضٍ مستقرًّا

أطعتُ مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعتُ لكنتُ حرًّا([4])

---

[1]– **طه عبدالباقي سرور: الحسين بن منصور الحلاج، شهيد التصوف الإسلامي، ط/ القاهرة، سنة١٩٦١م، ص ١٢٧.**

[2]– **السابق، ص ١٢٧.**

[3] – **الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ط/ دار الكتب العلمية–بيروت(د.ت)، ج٨، ص ١١٧.**

[4] – **السابق، ص ١١٨.**

إن الحلاج يعترف في محبسه أنه اتّبع مطامعه فأهلكته، وأما مطامعه فما كانت إلا محاولة جاب بها الآفاق لنشر تعاليم الدين الروحيَّة، ودعوة الناس إلى الزهد والتصوف، وترك مباهج الحياة، فلما قدم إلى بغداد اصطدم بدعوته مع الخليفة ورجاله، فآل به الحال إلى السّجن ثم إلى الإعدام ثم إلى الحرق، وقد صورت هذه الأبيات انكسار نفس الحلاج، وإظهاره الندم على ما فعل.

ونعرِّج على إبراهيم الموصلي المغني–ت ١٨٨هـ– الذي نهاه الخليفة المهدي عن شرب الخمر فلم ينته، وشرب النبيذ مع ولديّ الخليفة، فأمر المهدي بحبسه، وقد جاء في الأغاني على لسان إبراهيم الموصلي"...ثم دعاني يوما وعاتبني على شربي في منازل الناس والتبذل معهم، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنما تعلمت هذه الصناعة للذتي وعشرتي إخواني، ولو أمكنني تركها لتركتها، فغضب غضبا شديدا...، وقال: لا تدخل علي موسى وهارون–ولداه– البتة، فوالله لئن دخلت عليهما لأفعلنّ ولأصنعنّ، فقلت: نعم، ثم بلغه أني دخلت عليهما وشربت معهما، وكانا مستهترين بالنبيذ، فضربنى ثلثمائة سوط، وقيدني وحبسني"(١)، فراح في محبسه يشكو في قصيدة، منها قوله:

تطاولَ ليلي أراعي النجومَ أعالجُ في السَّاق كبلا ثقيلا(٢)

يتضح من البيت المعاناة التي تعانيها أنَا الشاعر، والضغط النفسي الذي يشعر به، وقد طال ليله، وزاد همُّه وألمه من شدة معالجة القيود الثقيلة في قدميه، وقد ذاق مرارة الذل والخضوع في السّجن، الذي هو شر المنازل، ونكب الخليفةُ المتوكل وزيره محمد بن

١ – **أبوالفرج الأصفهاني: الأغاني، ج٥، ص ١٦٠.**

٢ – **السابق، ص ١٦٢.**

عبدالملك الزيات([1]) بعد أن استوزره، فحبسه وعذَّبه وقتله، وكان المتوكل يبغضه، وقد حبسه لأسباب كثيرة منها: أن أخاه الواثق غضب عليه، وكان ابن الزيات يزيده غضبًا عليه، فبقي ذلك في نفسه...ثم تولى المتوكل الخلافة فأمر بالقبض عليه، ومصادرة أمواله بعد أن أغراه به ابن أبي دؤاد –منافس ابن الزيات–ووضعه في تنور من خشب فيه مسامير في أسفله...([2])، ومن سجنه يراح يصف معاناته في قصيدة طويلة، منها قوله:

لَعِبَ البِلى بمعالمِي ورسومِي ودُفنتُ حيًّا تحتَ ردمِ غمومي

لزم البِلا جسمي وأوهنَ قوَّتِي إن البِلى لمـــــوكَّلٌ بلـزومِ([3])

يتحدث الشاعر عن نفسٍ ذاقت الويلات، وعن جسدٍ أصابه البلاء، فتغيرت ملامحه ورسومه، ووهنت قوته، وضعفت ضعفًا شديدًا، وقد أفلح الشاعر في تصوير نفسه، وقد كثرت عليها الهموم والغموم، حتى دفنته تحتها، وكأنها ثرى، وتكرار كلمة "البلى" ثلاث مرات في بيتين، تدل على شدة معاناة الشاعر فى محبسه.

وكان ابن المعتز –ت ٢٩٦هـ– من الخلفاء العبَّاسيّين، وقد قضى في الخلافة يومًا وليلة، فبعض رؤساء الجند وزعماء الكُتَّاب الميالين إلى ابن المعتز نقموا على المقتدربالله العبَّاسيّ فخلعوه، وبايعوا عبدالله بن المعتز، فأقام يوما وليلة في الخلافة، ثم إن حاشية المقتدر المخلوع تحزبوا له وحاربوا أعوان ابن المعتز، وأعادوا المقتدر إلى

---

[1] – هو: أبو جعفر محمد بن عبدالملك بن أبان بن أبى حمزة البغدادي، ت ٢٣٢هـ، انظر مقدمة الديوان، شرح وتحقيق: د. جميل سعيد، ط/ مطبوعات المجمع الثقافى–أبوظبى، سنة ١٩٩٠م.

[2] ـ محمد بن عبدالملك الزيات: مقدمة الديوان، ص ١٤–١٥.

[3]– السابق، ص ٢٥٢.

الخلافة، الذي أخذ ابن المعتز وسلَّمه إلى مؤنس الخادم، فحبسه، ثم قتله، وسلَّمه إلى أهله([1])، ومن سجنه قال عبد الله ابن المعتز:

تعلَّمتُ في السّجن نسْجَ التِّككْ وكنتُ امرءًا قبل حبْسي مَلِكْ

وقُيِّدتُ بعدَ ركوبِ الجـــــيادِ وما ذاك إلا بدور الفـــــلكْ

ألمْ تُبْصرِ الطيرَ في جـــــوِّه يكادُ يلامسُ ذاك الحَـــــبَكْ

إذا أبصرتهُ خطوبُ الزمـــــا نِ أوْقعتهُ في حبالِ الشَّرَكْ([2])

إنه يصف حاله في السّجن، وما وصلت إليه أناه المقهورة، فبعد أن كان ملكًا من الملوك العبَّاسيّين، صار الآن سجينًا ينسج تكك السراويل–على حد قوله– ومن بعد أن كان يمتطي الخيول، صار مقيد الرجلين، محكوم الحركة، وقد دارت عليه الدوائر، فأنزلته هذا المنزل –ثم يسوق الشاعر حجج الإقناع، التي عودنا عليها الشعراء السّجناء– فها هي الطير تطير مرتفعة لقرب السماء، حتى إذا أرادها الدهر بنكبة، أوقعها في حبال الشرك، فتصير مأسورة محبوسة مثله، وهي صورة جميلة شبه الشاعر فيها نفسه بالطير الحر الطليق، الذي يستمتع بملذات الحياة، ثم أوقعه الدهر في الشرك، فحرم من كل ذلك، وصار سجينًا، ويبدو أن ابن المعتز قد صيره السّجن حكيمًا، فنراه يقول مصبرًا نفسه الجزعة المضطربة مما حلَّ بها:

يا نفسُ صبرًا لعلَّ الخيرَ عقباك خانْتكِ من بعد طولِ الأمنِ دنياك

لكنَ هو الدهرُ لقياهُ على حَذَرٍ فربّ حارس نفسي تحت إشراكِ([3])

---

[1] – عبد الله بن المعتز: الديوان، شرح: محيي الدين الخياط، ط/ مطبعة الإقبال– بيروت، (د.ت)، المقدمة، ص ٤.

[2] – عبدالله بن المعتز: الديوان، ص ٣٣١.

[3] – السابق، ص ٣٣٩.

فهو يتحدث إليها؛ ليصبرها، لعل الخير يكمن في الشر، ويخبرها بأن الدهر متقلّب، لا يأمنه أحدٌ، ويجب أن نكون منه على حذر شديد، ولا يقابل الباحث أحدًا ذاق مرارة الأسي والحزن، مما وقع عليه من الظلم والسّجن مثل عبدالله بن المعتز هذا، فقد عاش ومات كئيبًا، ونجده كثيرًا ما يتذكر ما آل إليه من حبس، ويتذكر ما حاق به من ظلم، وهو في ظلمات السّجن، وقد كتب في محبسه يخاطب نفسه، ويندب حظه والأيام، فيقول:

مَنْ يَذودَ الهمومَ عن مكروبٍ مستَكِينٍ لحادثاتِ الخـــــطوبِ
حوَّلته الدنَيا إلى طولِ حــزنٍ من سرورٍ وطيبِ عيشٍ خصيبِ
فهو في جفوةِ المقاديرِ لا يأخذُ يومًا من دولةٍ بنصـــــــيبِ([1])

فالشاعر مهموم مغموم، مستكين لحوادث الدهر، من بعد الفرح والسرور، وهو لم يأخذ حقه من الخلافة، سوى يوم واحد، وواضح من الأبيات أن الألم يعتصر قلبه، وقد صور نفسًا منكسرة ذليلة، تكالبت عليها الخطوب والهموم، مع شدة ظلام السّجن، وقبح ظلم الخليفة، والأبيات مزج فيها الشاعر بين الشكوى، وتصوير حالته النفسيَّة السيئة، حتى كأنها تقطر ألمًا، ومن الشعراء الذين نلتقي بهم في دراستنا، الشاعر أبوالحسن التهامي([2])، الذي رحل إلى أرض مصر؛ ليشترك مع آل الجراح في ثورتهم ضد الفاطميين، ويحرض عليهم قبائلها، فقُبض عليه وسُجن في خزانة (البنود) في القاهرة، ثم قُتل في جمادى الأولى عام ٤١٦هـ(٣)، وكان قبل مقتله قد ذاق الويلات: ويلات السّجن، وويلات الغربة، وويلات التعذيب، وويلات الشعور بالندم، فجاءت أبياته

---

[1] – السابق، ص٢٥٧.

[2] – هو: أبوالحسن علي بن محمد التهامي، شاعر من شعراء القرن الرابع الهجري، ت ٤١٦هـ، انظر مقدمة الديوان، ت: د. محمد عبدالرحمن الربيع، ط١/ مكتبة المعارف– الرياض، سنة ١٩٨٢م.

[3] – السابق، ص ١١–١٢.

قوية العاطفة، صادقة المعنى، معبرة عن حالته التي وصل إليها خير تعبير، ومن ذلك قوله:

لنفسكَ لُمْ، لا عُذْرَ قد نفذَ العـذرُ بذا حكمَ المقدورُ إذ قُضي الأمرُ
لعمري قد طوَّفتُ في طلبِ العُلا وحـــــالفني بَرٌّ وحالفني بـحرُ
ظللتُ بمصر في السجون مُخلَّدا وإنّي لسيفٌ جفنه فوقه سترُ(١)

شعور بالندم، واعتراف صريح من الشاعر بخطئه الذي ارتكبه في حق نفسه، وإن كان القدر قد جرى بذلك، لكنه أيضا يلومها إيلامًا شديدًا، فهي نفس طامحة إلى العُلى دفعته لأن يجوب الآفاق، برًا وبحرًا، حتى إذا وصل أرض مصر قبع في سجونها حتى موته، ويشبه الشاعر نفسه بالسيف كعادة الشعراء المسجونين، ويتضح في الأبيات أن أنَا الشاعر تفيض حسرة وألمًا، وتروي عبر القصيدة قصة عذابها الممزوج بالألم النفسى الشديد، وقد برع الشاعر في تصوير مأساته، تعزية لنفسه وتسلية لها، ومن ذلك يصف هول المعاناة التي يعانيها، قوله:

مستوطنًا دارَ البنودِ وقلبُـــهُ للرُّعبِ يخفقُ مثلَ خفقِ بُنُودِهَا
دارٌ تَحطُّ بها المَنونُ شبَاكَها فتروحُ والمِنْجابُ حِلٌ صُيُودِهـا
قيدٌ وسلســلةٌ وأدهمُ مصمتٌ محنُ الكرامِ عظيمةٌ كصفُودِها(٢)

لا تقرأ أبياتًا في صدق هذه الأبيات، ولا في دقة وصف المعاناة التي يعانيها الشاعر، وقد أدرك أن منيَّتة قادمة لا محالة، فقلبه يخفق خفقانًا شديدًا، والقيود والسلاسل تحيطه، مصيبة عظيمة، ومحنة شديدة، لا تليق–على حد قوله– إلا بعظيمٍ مثله، وهذا يؤكد ما يذهب إليه رائد أدب السجون عبدالرحمن منيف، أن قصيدة السّجن "تورّط

١- السابق، ص ٢٦٠.

٢ – السابق، ص ٢٧٨.

القارئ فتدخله في جوها، وتضيق عليه، وتجعله يحس بمدى الإهانة والعذاب اللذين يتعرض لهما السجين"([1])، وهذا ما تشعر به حقا، وأما محمد بن صالح العلوي([2]) فقد خرج على الخليفة المتوكل، فظفر به وبجماعة من أهل بيته، فأخذهم وقيّدهم، وقتل بعضهم، وحمل محمد بن صالح فيمن حمل منهم إلى مدينة سُرَّ من رأى، فحُبِس هناك ثلاث سنين، ثم أفرج عنه المتوكل بعد أن استعطفه بقصيدة يصف فيها حاله([3])، ومن سجنه راح يستحضر أناه في أبيات كثيرة، منه قوله:

طَرِبَ الفؤادُ وعَاوَدَتْ أحـــــزانـهُ وتشعَّبت شُعبًا به أحزانُهُ

وَبَدا لهُ من بعدِ ما اندمَلَ الـهَوى برقٌ تألَّقَ موهنًا لمعانُهُ

فدنَا لينظُرَ كيف لاحَ فلمْ يُطقْ نظرًا إليه وردَّه سجَّانُهُ([4])

إن قلبه قد امتلأ حزنا وهمًّا وغمًّا، لكنه لم يقنط ولم ييأس أبدًا، وقد جدّد أملا في نفسه ما بدا له من لمعانٍ صغير، نفذ إليه من طاقةٍ في السّجن، أعاد إليه الحياة مرة أخرى، وقد حاول أن ينظر إلى الدنيا من تلك النافذة، لكن السَّجَّان ردَّه ثانية، وهو يريد أن يقول: إن الأمل باق مهما أدلهمّ الأمر، ومعظم السّجناء يعانون دائما من ذلك الصراع الدائم بين اليأس والأمل، "فالأماكن المغلقة تخلق لدى الإنسان صراعًا داخليًا بين الرغبات وبين الواقع، وتوحي بالراحة والأمان، وفي الوقت نفسه لا يخلو الأمر من

---

[1] – عبدالرحمن منيف: الكاتب والمنفي، ط٣/ المركز الثقافي العربي–الأردن، سنة ٢٠٠١م، ص ٢٣٧.

[2] - هو: محمد بن صالح بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبى طالب، ت ٢٥٢هـ ، أو ٢٥٥هـ ، انظر مقدمة الديوان، ت: مهدى عبدالحسين النجم، ط١/ مؤسسة مواهب للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، سنة ١٩٩٩م.

[3] – ديوان صالح بن محمد العلوي، ص ٥.

[4]- السابق، ص ٢٣.

مشاعر الضيق والخوف، لا سيما إذا كان المكان المغلق هو السّجن" ([1])، ونفس حديث الأنَا المؤلم هذا نسمعه من إبراهيم بن المهدي، وقد ذاق الويلات من جراء الخلافة، كما ذكرنا آنفا، يقول:

فللَّه نفسِي إنَّ فيَّ لعـــــبرةً وفي الدهر نقضٌ للعرى بعد إبرام

غدوتُ على الدنيا مليكًا مسلَّطًا ورحتُ وما أحوي بها قبسَ إبهام([2])

فقد ولد ملكًا مسلطًا على الدنيا بأسرها، أما الآن فهو قابعٌ في سجنه لا حول له ولا قوة، ولا يملك من أمره، ولا من خلافته شيئا.

المحور الثالث: استحضار رؤى وفضاءاتٍ أخرى

تأتي المرحلة الثالثة التي تسير جنبًا إلى جنب مع المرحلة الثانية، وفي هذه المرحلة يبدأ الشاعر في خلق رؤى وفضاءات أخرى، فلا شك أن صورة أمه وأولاده وزوجه وأحبابه، وكل شيء جميل محبب إليه حُرِم منه، تطلُّ عليه باستمرار وتكون مصدر همٍّ وغمٍّ له، سيما أسرته، أما أصدقاؤه فيكثر العتب عليهم؛ لأنهم تخلّوا عنه، لكن تظل صورة الخليفة هي الأكثر إلحاحًا عليه، فهو الذي بيده –بعد الله– العفو والعقوبة، وهو الذي يملك أن يطلق سراحه في أي وقت شاء، وهو الذي يمكن أن يرجعه لكل هؤلاء الذين تعشعش صورتهم في قلبه؛ لذا يمكن أن نقول: إن مناشدة الخليفة واستعطافه تمثل الفضاء الأكبر الذي يخلقه الشاعر لنفسه، فربما بعض الكلمات التي قد تصل إلى أُذُنِ الخليفة تكون سببًا في حريته؛ لذا فهو لا يكف عن استعطافه وترقيق قلبه، وأحيانًا قد يعتب عليه إن كان بينه وبين الخليفة علاقة قوية.

---

[1] – **حفيظة أحمد: بنية الخطاب فى الرواية النسائية الفلسطينية، دراسة نقدية، ط/ فلسطين، سنة ٢٠٠٧م، ص ١٢١.**

[2] – **د.محمد مصطفى أبوشوارب: شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ونثره، ص ٣٣٢.**

وأبو دُلامة– ت ١٦٠هـ– واحد من هؤلاء الشعراء، وقد شرب في بعض الحانات فسكر، وانصرف وهو يتمايل، فلقيه العسسُ، فأخذوه وخرقوا ثيابه وطيلسانه، وأُتي به إلى الخليفة أبي جعفر، وكان يُؤتى إليه بكل من أخذه العسس، فحبسه مع الدَّجاج في بيتٍ، فلما أفاق، جعل ينادي غلامه مرة وجاريته أخرى، فلا يجيبه أحد، وهو في ذلك يسمع صوت الدجاج وزقاء الديوك، فلمّا أكثر قال له السَّجَّان: ما شأنك؟ قال له: ويلك، مَن أنت؟ وأين أنا؟ قال: في الحبس، وأنا فلان السَّجَّان، قال: ومن حبسني؟ قال: أمير المؤمنين، قال: ومن خرَّق طيلساني؟ قال: الحرس([1]) وبعد مدة كتب من سجنه إلى الخليفة المنصور يستعطفه، يقول:

أميرَ المؤمنينَ فدتكَ نفسي علامَ حَبسْتني وخرقتَ ساجِي
أَمنْ صهباءَ ريحُ المسكِ فيها تَرقرقُ في الإناءِ لَدَى المِزاجِ
أُقادُ إلى السجونِ بغيرِ جُرمٍ كأنِّي بَعضُ عمَّالِ الخَـــراجِ
ولوْ مَعَهم حُبستُ لكان سهلًا ولكنِّي حُبستُ مـــع الدَّجـاجِ
على أنَّي وإن لا قيتُ شـــرًّا لخَيركَ بعدَ ذاكَ الشَّرِ راجِي([2])

فالشاعر يستنكر على أمير المؤمنين–في نوع من الاستعطاف– حبسه، وتقطيع ثيابه، لأمرٍ لا يستحق أن يُحبس عليه، فهو لم يرتكب جرمًا، إنما هي جرعة من خمر، ومن ثم فهو يرى أنه مظلوم، وهو أيضا ليس من عمَّال الخراج اللصوص، الذين يسرقون مال المسلمين، وعلى غير عادة شعر السّجون نجد أن المقطوعة تحمل روح الدعابة والتفكّه، خاصة حينما يصف نفسه، وهو محبوس مع الدجاج، كما أن الشاعر ليس غاضبًا من الخليفة الذي حبسه؛ لأنه يدرك تمامًا أن الأمر لا يتعدى نوعًا من التأديب

[1] – أبو دلامة: الديوان، ت: د.إيميل بديع يعقوب، ط١/ دار الجيل– بيروت، سنة ١٩٩٤م، ص١٢٨– ١٢٩.

[2] – السابق، ص ١٢٩–١٣٠.

الخفيف أو الدعابة، ويؤكد ذلك ما جاء في البيت الأخير: "لخَيركَ بعدَ ذاكَ الشَّرِ راجِي"، وأن الأبيات لا تكشف نوعًا من الصراع النفسي داخل أنَا الشاعر كعادة الشعراء السّجناء، ولا تحمل نوعًا من الشوق أو الآهات أو العذاب النفسي، كما تكشف الأبيات ما عليه حال عمال الخراج من كثرة تطاولهم على أموال المسلمين، وكثرة ترددهم على السّجن للصوصيتهم.

ولمَّا حُبس أبونواس، كان يظن أن سجنه لن يطول، فقد كان نديمًا للخليفة الأمين، ومن المؤكد أنه سيخرجه من محبسه، لكن الأمين لم يفعل، فطال حبسه، مما كان له أثر سيىء على نفسه، فلم يجد مفرًّا من استعطاف الأمين، يقول:

بكَ أستجيرُ مـــن الرَّدَى وأعوذُ من سَطَواتِ بأْسك

وحيـــاةِ رأسكَ لا أعودُ لمثلها وحياةِ رأســـــك

من ذا يكونُ أبا نُواسِك إنْ قتلتَ أَبَـــا نُواسِك(١)

إنه يستجير به، ويتعوذ من سطواته، وشدة بأسه، ويتعهد برأسه ألا يعود لما فعل، ويحاول أن يستدر عطفه محقرًا من نفسه، ومقللا من شأنها، وقد بدا الانكسار واضحًا عليه، وكان قد اُتّهم بالزندقة، وعلى الرغم من أن أبانواس أنكر قبل ذلك تلك التهمة، وعرَّض بشهود الزور، وأخبر عن نفسه، أنه فاسق ماجن، لكنه هنا يقر ويعترف أنه يستحق العقوبة، لعل اعترافه على نفسه يليّن قلب الخليفة عليه، ويطلق سراحه.

ونعود لأبي العتاهية الذي يعد من أكثر الشعراء معاناةً وجزعًا في سجنه، وأقلهم تصبرًا واحتمالا، حتى وصل إلى حالة نفسيَّة سيئة في السّجن، وقد حبسه الخليفة الرشيد –كما ذكرنا– فشكاه إلى الله، لكن الرشيد لم يأبه به، فبدأ في نسج أبيات سهلة

---

١ - أبو نواس: الديوان، ص ٤٧٢.

رقيقة يستعطفه فيها، ويرجو عفوه والصفح عنه، لكن الرشيد أيضا لم يعره اهتمامًا، فأكثر أبوالعتاهية من شكايته إلى الله، ومن استعطافه ومدحه، ومن ذلك قوله:

يا رشيدَ الأمرِ! أرشدني إلى وجهِ نُجحي لا عُدمتَ الرَشدَا

أعْنِ الخائِفَ وارْحمْ صوْتَهُ رافعًا نحـــــوكَ يدعوكَ يَـدا

وا بلائي من دَعاوي آمـلٍ كُلما قلتُ تَدانَـــــــي بعُـدا

كمْ أُمنَّي بغدٍ بعد غـــــــدٍ يَنفدُ العمرُ ولم ألقَ غدا([1])

مزج الشاعر في أبياته بين المديح والاستعطاف ليلين عليه قلب الرشيد، وأبدى مظاهر الخضوع والإذلال والإعياء الشديد، وكل يوم يمني نفسه بالحرية، إثر وعدٍ يتلقاه من الرشيد، الذي يبدو أنه يداعبه، فيُبقِي الحال على ما هو عليه، وعمر الشاعر يمر، وهو قابع في السّجن كما هو، وقد طال حبسه، وهو لا يكف عن البكاء والعويل والشكاية، واستعطاف الرشيد، فأرسل إليه ثانية، يقول:

أنا اليومَ لي والحمدُ للهِ أشـهرٌ يروحُ عليّ الهمُّ منكم ويبـــكرُ

فمن لي بالعينِ التي كنتُ مرَّةً إليَّ بها في سالفِ الدهرِ تنظرُ([2])

فقد مر عليه عدة أشهر، يروح عليه الهمُّ ويغدو، ثم يُذكِّر الرشيد بالمودة والمحبة التي كان يجدها منه، ولما وصلت تلك الأبيات الرشيد، لم تحرك فيه ساكنًا أيضا، والظاهر أنه قال للسَّجَّان أن يقول لأبي العتاهية: "لا بأس عليك"، من باب مداعبة شاعره وتأديبه، ويتضح ذلك من قول أبي العتاهية، إذ يقول:

أرقتُ وطارَ عن عيني النعاسُ ونامَ السامرونَ ولـــم يؤاسُوا

---

[1]- أبو العتاهية: الديوان، ص ١٥٧.

[2] - أبوالعتاهية: الديوان، ص ٢١٤.

أمينُ اللهِ إنَّ الحـــبسَ بأسُ وقدْ أرسلتَ: ليسَ عليكَ بأسُ(١)

إنه يعاتب الخليفة الرشيد في لطف ورقة، علَّه يفرج عنه، وهذا ما حدث، فقد أطلق سراحه في نهاية الأمر، بعد أن كثرت شكايته إلى الله، واستدرار عطفه.

ومما يرويه أبوالفرج الأصفهاني أن الخليفة المهدي قد أوفد الشاعر نصيب الأصغر(٢) إلى اليمن فى شراء إبل، وكان من جلسائه، ويثق فيه ثقة كبيرة، وجعل معه مبلغًا كبيرًا من المال يفي لشراء الإبل، وأوصى به والي اليمن، لكن نصيب خان الأمانة، وبعثر المال وأنفقه على متعه وملذاته دون أن يقضي حاجة الخليفة، فلما رأى والي اليمن ذلك منه، أرسل إلى الخليفة يعلمه بالأمر، فغضب الخليفة غضبًا شديدًا، وأمر بأن يوثقه في الحديد، ويرسله إليه موثَّقًا، وفي بغداد سجنه الخليفة مدة دون أن يأذن له بمقابلته(٣)، فلما طال سجنه، قال يستعطف الخليفة، ويمدحه في قصيدة تصل إلى العشرين بيتًا، وفيها يظهر الشاعر توبته وندمه، يقول منها:

تأوّبني ثقلٌ من الهمِّ موجِـــــعُ فأرقَّ عيني والخليُّون هجَّـــعُ

إليكَ أمير المؤمنينَ ولـــمْ أجدْ سواكَ مجيرًا منكَ يُدنـــي ويمنـعُ

تلمَّستُ هل من شافعٍ لي فلم أجدْ سوى رحمةٍ أعطَاكَها اللهُ تشفعُ

وعفوكَ عمَّنْ لو تكونُ جـــريمةٌ لطارتْ به في الجوِّ نكباءُ زعْزَعُ(٤)

١- السابق، ص ٢٣٣.

٢- شاعرٌ مخضرمٌ شهد الدولة الأموية، والعصر العباسي الأول، وهو عبدٌ زنجيٌ حبشيٌ، انتقل إلى خدمة الخليفة المهدي، ت سنة ١٧٥هـ، وقيل بعد سنة١٩٠هـ، وسمى بذلك للتفرقة بينه وبين نصيب بن رباح، الشاعر الأموي.

٣ - أبوالفرج الأصفهاني: الأغاني، ج ١٢، ص ٦.

٤- السابق، ص ٦-٧.

اعترافٌ صريحٌ من الشاعر، بأنه أخطأ وارتكب جرمًا، وهذا ذكاءٌ منه؛ لذا فهو يحاول مداعبة عواطف الخليفة الدينية بعد هذا الاعتراف، ويكثر من الشكاية من ثقل الحديد والقيود في رجليه، وقد منعته القيود النوم، ثم يبدأ في استعطافه، وأنه لا منقذ ولا مجير لما فيه سواه، وقد تلمَّس كل دروب الشفاعة، فلم يجد سوى تلك الرحمة التي بثَّها الله في قلب خليفته، وعفوه الذي يمن به على المذنبين، حتى أتت القصيدة بثمارها، إذ عفا عنه الخليفة بعد مدة من سجنه.

أما علي بن الجهم شاعر المتوكل، فقد كان في بداية سجنه قويًا جلدًا صبورًا على مرارة السّجن، وهذا ما جعله يعتب على الخليفة المتوكل، ويلقي عليه اللوم، بأسلوب فيه بعض القوة والخشونة، ولا يستعطفعه كغيره من الشعراء المسجونين، وقد دفعه كبرياؤه في بداية سجنه إلى الإكثار من مجادلة الخليفة، فهو يبحث عن حريته التي فقدها ظلمًا، والحق معه، فعلاقة أي شاعر بالحاكم علاقة جدلية ومتواصلة، طالما وجد الشاعر نفسه داخل مجتمع يبحث فيه بشكل دائم عن حريته وإنسانيته([1])، يقول:

أَمِن السَّويَّةِ يا ابن عمِّ محمَّدٍ خصمٌ تقرّبه وآخرُ تبعـــــدُ

إنَّ الذين سعوا إليك بباطـــــلٍ أعداءُ نعمتكَ التي لا تجحدُ([2])

إن الخليفة لا يعدل في القضية، فليس من العدل والمساواة أن يستمع إلى خصم ولا يستمع من الآخر، وهذا اتّهام بالظلم والتقصير له، ثم إن الخليفة أيضا استمع إلى أقوال الوشاة، فعاقبه، وكأن الرأي لم يصدر منه –واستخدام الشاعر للمتضادات إنما أراد بذلك تنبيه الخليفة– ولما أعرض عنه الخليفة المتوكل، ولم يلتفت إلى قوله، وبقي في

---

[1] – صالح عبدالعظيم: سوسيولوجيا الرواية السياسية، ط1/ الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة، سنة ١٩٩٨م، ص ٣٠.

٢ – علي بن الجهم: الديوان، ص ٤٦.

السّجن قابعًا، بدأ يلين ويلقي رداء الكبرياء جانبًا، ويمهد للاعتذار والاستعطاف، إذ نراه يقول:

فلازالتُ الأرضُ ممورةً بِعمركَ يا خيرَ عمَّارِهــا
تبوَّأتُ بعدكَ قعرَ السَّجو نِ وقَد كنتُ أرثي لزوَّارِها([1])

تغيرت النغمةُ، وحملت جانبًا من المدح للخليفة، ثم وصفًا لحالته التي وصل إليها، وقد تبوَّأ قعر السجون، وقد أتى الشاعر بكلمة " قعر" زيادة في استرقاق قلب الخليفة واستدرار عطفه، علَّ جانبه يلين له، لكن يبدو أن الخليفة لم يعره اهتمامًا، وصد عنه صدودًا، مما جعله يكثر من الاستعطاف والمناشدة، وإظهار جانب الذل والخضوع له، وذلك في قصيدة طويلة تتعدى ثلاثين بيتًا، يقول منها:

أَقلنِي أقالكَ منْ لــمْ يزلْ يَقيكَ ويصرفُ عنك الرَّدَى
فَما بين ربِّكَ جَلَّ اسْمُــهُ وبينكَ إلا نبيُّ الهُــــدى
وعفوكَ عن مُذْنبٍ خاضِعٍ قرنتَ المُقيمَ به المُقعِدا([2])

يدعو الشاعر الخليفة المتوكل أن يقيل عثرته ويعفو عنه، ليصرف الله عنه الردى بعفوه عن عبدٍ ذليلٍ خاضعٍ لمولاه، وتصل المداهنة والنفاق بالشاعر أن يجعل الخليفة في منزلةٍ قريبةٍ من ربه لا يسبقه إليها إلا سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– حتى ولو كان الصحابة والأولياء، وقد ذهبت عظمة الشاعر وكبرياؤه أمام سطوة الخليفة، وظلمة السّجن.

[1] - علي بن الجهم: الديوان ، ص ٣١.
[2] – السابق: الديوان، ص ٧٨–٧٩.

أما إذا تعذر الوصول إلى الخليفة أو صاحب الأمر، أو لم يعر الشاعر اهتمامًا، يضطر الشاعر السجين أن يلوذ بمن لهم دالَّة عند الخليفة، يستغيثه ويستعطفه؛ علَّه يوصل صوته إليه، ويشرح له حال السجين هذا، ومن ذلك ما جاء على لسان إبراهيم بن المدبر، وقد استغاث بمحمد بن عبدالله بن طاهر، ليتوسل إليه عند الخليفة المتوكل، ويتعهد له بكل ما عليه إذا ثبت، يقول:

ولي حاجةٌ إن شئتَ أحرزتَ مجدَهَا   وسرَّك منها أولٌ ثم آخـــــرُ

كلامُ أميرِ المؤمنين وعطفـــــــــهُ   فما لي بعد اللهِ غيركَ ناصرُ

فإن ساعدَ المقدارُ فالعفوُ واقـــعٌ   وإلا فإنِّي مخلصُ الوُدِّ شاكرُ([1])

يطلب منه قضاء حاجته، التي إن قضاها له سيدخل السرور قلبه، وهي أن يكلم أمير المؤمنين المتوكل في شأنه حتى يفرج عنه، ويعطف عليه، فليس له بعد الله غير هذا الشفيع إلى الخليفة، فإن وافق القدر العفو عنه، فهذا من حظه، وإن لم يوافق، فقد أدى ما عليه، والشاعر مدين له بالشكر والود، وهذا الطريق قد سلكه أبو نواس، إذ لاذ بأحد المقربين عند الخليفة؛ ليتشفَّع له، فبعث بقصيدة من سجنه –بعد أن يئس من الخليفة– إلى الحسين بن عيسى بن أبي جعفر المنصور، يطلب منه أن يشفع له عند الخليفة، عسى أن يعفو عنه، يقول:

رفعَ الصوتَ فنـــــادى: يا أبا عيسى الجوادَا

كنْ عمادًا يا ابنَ منْ كا نَ غِياثًا وعمـــــادًا

وتَدَاركْ جـــــــسدًا قــدْ مـاتَ أو قِيلَ كَــادا

قلْ لهُ: إن قالَ هـلْ تـا بَ؟! نعمْ تابَ وَزَادَا([2])

---

[1] – يونس الشيخ إبراهيم السامرائي: تاريخ شعراء سامراء من تأسيسها حتى اليوم، ص ٢٠.

[2] - أبو نواس: الديوان، ص ٢١٧.

يمدح الشاعر الحسين في البداية، وينعته بالجود والكرم، ثم يطلب منه أن يغيثه، ويشفع له عند الخليفة، وأن يتدارك جسد الشاعر الذي أوشك على الموت والهلاك، وإن سأله الخليفة، هل تاب أبونواس؟ فأخبره أنه تاب وأناب، وقد أكثر أبونواس من صيغ الأمر بقصد الاستعطاف والاسترحام...

أما المتنبي فقد أضعف السّجن نفسيته، وتمكن اليأس من قلبه، وأصابه الوهن من جرَّاء ذلك، لذا لم يجد بدًّا من استعطاف الحاكم، على غير عادته؛ طلبًا للعفو والحرية، يقول:

دعوتُكَ لمـــــاَّ برانِي البَلاءُ وأوهَنَّ رجليَّ ثقلُ الحـــــــديدِ

وقدْ كانَ مشْيُهُما في النِّعَالِ فقد صار مشْيُهُما في القيودِ([1])

ويبدو أن المتنبي قد أصابه الضرر الشديد، فذلَّ نفسه في سبيل حريته، وهو ذو الأنفة والهمة العالية، وهو الذي يفتح عينه فلا يرى أحدا ذا قيمة، قد أذلَّه السّجن، وأوهن رجله القيد، فلم يجد مفرا من الرجاء والاستعطاف؛ لينال حريته.

ومن الفضاءات الأخرى التي صنعها الشاعر العبَّاسيّ السجين، إظهار الشوق إلى الأهل والأصحاب، فنتيجة لحرمانه من رؤيتهم يزداد شوقه إليهم، سيما أطفاله الصغار، الذين تركهم بلا عائل يعولهم، فيتحرق قلبه عليهم، وقد يتخذهم أحيانًا وسيلة تشفع له عند الخليفة، ويستدر بها عطفه، كما فعل الحطيئة مع سيدنا عمر بن الخطاب، ومن هؤلاء محمد بن عبدالملك الزيات، الذى حبسه المتوكل فى مكان ضيق–كما ذكرنا آنفا– وجعل من أسفله المسامير، حتى يحرمه الجلوس؛ لذا لما أحس

[1] – **المتنبي: الديوان، ج١، ص ٢٣٢.**

بأنفاس الموت تدنو منه، تذكر ابنته الصغيرة، وحاول جاهدًا أن يبقى أمامها صامدًا قويًا، لكن الأبيات تعكس ضعفه وانهياره أمام العذاب الذى يذوقه من قبل ساجنيه، يقول:

أبُنيتي قلِّــــــي بكاكِ واصْبِري   فإذا سمعتِ بهالكٍ مَغمُـــــومِ

فانْعيْ أباكِ إلى نسائِهِ واقْــعدِي   في مأتمٍ يُبكي العيونَ وقومِي

قُولِي له يا غائبًا لا تُرْتَجَـــــــي   حتَّى القيامةِ مُخبرًا بقدومِي([1])

أبياتٌ تعصر القلب اعتصارًا، وتذكرنا بقصيدة مالك بن الريب التي يرثي فيها نفسه، فهو حينما شعر بدنو أجله، راح يصبِّر ابنته، ويطلب منها ألا تبكي أو تجزع، إذا جاءها خبر وفاته، وبكي عليه نساؤه، فعليها أن تظل صامدة قوية، ويبدو على الشاعر القوة والتماسك، محاولاً أن يسرّي عن ابنته، لكن حديثه عن الموت، وأنه هالك لا محالة، من المؤكد أنه يثير جذعها أكثر من التسرية عنها.

والمطلع على ديوان أبي فراس يجد عشرات الأبيات التي يصور فيها شوقه إلى أهله، وشوقه إلى أمه العجوز التي كانت لا تكف عن البكاء والجزع، حتى ماتت دون أن يراها، وأبو فراس وأشواقه بحاجة إلى دراسة مستقلة، وما أورده البحث من أبيات، إنما جاءت للتدليل فقط، ومن ذلك قوله لأمه:

أيَا أُمّ الأسيرِ، سقاكِ غيثٌ،   بِكرهٍ منك ما لَقِيَ الأســـيرُ

أيَا أُمّ الأسيرِ، سقاكِ غيثٌ،   تَحيَّر، لا يُقيم ولا يـــسيرُ

أيَا أُمّ الأسيرِ، سقاكِ غيثٌ،   إلى مَن بالفِدا يأتي البشيرُ([2])

---

[1] – محمد بن عبد الملك الزيات: الديوان، ص ٢٣١.

[2] – أبو فراس الحمداني: الديوان، ص ١٦١.

إن تكرار الشطرة الأولى ثلاث مرات، يدل على ليهب العاطفة المسيطرة على الشاعر تجاه أمه، وشوقه الشديد لها، فهو لا يملك لها شيئًا، وهو أسير في بلاد الروم، فجاءت مناداته تعكس الحزن الشديد الذي يسيطر على وجدانه، وهذا التكرار التركيبي يؤدي إلى تكثيف الطاقات الكامنة في النص، والتي بدورها تسهم في تعميق رؤية القصيدة، وتعدد إمكاناتها، وطاقاتها الدلالية، وإصرار الشاعر على التكرار يبين أن أمه كانت الحياة بالنسبة له، فبموتها فقد حياته، وصدم صدمة شديدة، جعلته يظهر كالمتخبط الذي لا يدري ما يفعل.

أما ابن مُقلة الخطَّاط([1]) وهو رجل ذو قدرات ثورية هائلة، وقد اشتهر بالتآمر، والقدرة على الاستتار، والتخفي من السلطة، واللجوء إلى التنكر والخداع، وقد أدى ذلك في النهاية إلى سجنه وقطع يده اليمنى([2])، وفي السّجن انقطع عنه الأخلاء والأحباب، فقال في ذلك قاصدًا أبا عبدالله محمد بن إسماعيل الكاتب، الملقب بالزنجيّ، الذي انقطع عنه خوفا:

تُرى حُرِّمتْ كتْبُ الأخِلاءِ بينهُمْ أبنْ لي، أم القرطاسُ أصبحَ غاليًا؟
فَما كانَ لوْ ساءلتَنَا كيفَ حالنُا؟ وقدْ دهمتنا نكبةٌ هـــــي ما هيـا
صَديقكَ مَن راعاكَ عندَ شَديدَةٍ وكلٌّ تراه في الرخاءِ مُـــــــراعيا
فَهبكَ عدوّي لا صديقي فربَّمَا يكادُ الأعَادِي يرحمونَ الأعادِيا([3])

يستفهم ابن مقلة من صديقه عن سبب انقطاعه عنه، وعدم السؤال عليه، بادئًا بسؤال استفهام استنكاري، بأن هل المراسلات بين الأصدقاء قد حرمت؟ أم القرطاس قد ارتفع

[1]- هو: محمد بن علي بن الحسن بن عبدالله بن مقلة، ت ٣٢٨هـ، انظر ترجمته في: هلال بن ناجي: ابن مقلة "خطاطا وأديبا وإنسانا"، ط/ دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، سنة ١٩٩١م.
[2] - السابق، ص٣٩.
[3] - هلال بن ناجي: ابن مقلة "خطاطا وأديبا وإنسانا"، ص٥٤.

ثمنه، فحجبت عني كتبك؟ ثم يعتب على صديقه، الذي تخلى عنه في نكبته الشديدة تلك، فالصديق وقت الشدة والضيق، لا وقت الوسع والرخاء، وما حل به من نكبة تجعل قلوب الأعداء تلين وترحم، فما بال الأصدقاء؟! والأبيات قوية، تدل على تمكن من ناصية الشعر، وقدرة على الإبداع، وفن الحكمة، كما تعكس ما آلت إليه نفس ابن مقلة في السّجن.

أيضا لمَّا حُبس إبراهيمُ الموصلي–ت ١٨٨هـ– راح يشتكي من قلة الأصدقاء، وانقطاعهم عنه، ويقصد ولدىّ الخليفة، فقد تخليا عنه وقت حبسه، وهما أقدر الناس على إطلاق سراحه من سجنه؛ لقربهما من الخليفة، فقال:

كثيرُ الأخلاءِ عند الرخاءِ فلمَّا حبستُ أراهم قليلا

لطولِ بلائي ملَّ الصديقُ فلا يأمنْ خليلٌ خليـلا([1])

إن الضغط النفسي الذي لاقاه الشاعر في السّجن، جعله ينطق بالحكمة والبيان، والبيتان مؤثران في نفس القارئ، وتدفعه للتعاطف مع شاعره، فآثار دموع الشاعر وبكائه واضح فيهما، كذلك حزنه الشديد من تلك الصدمة التي تلقاها من أصدقائه، الذين تخلَّوا عنه وقت الشدة، وملُّوا السؤال عنه لطول حبسه، أما وقت الرخاء فهم كثر، كعادة البشر، لكن ما فائدتهم إن لم يؤازروه وقت محنته؟! والبيتان عبَّرا عن حقيقة واقعة، زادتهما جمالا فـ" الأثر الإبداعي لا يكتسي دلالته الحقيقية إلا عند إندماجه فى شق الحياة أو السلوك"([2]).

---

[1] - أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج٥، ص ١٦٢.

[2] – د.جابر عصفور: نظريات معاصرة، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٩٨م، ص١١١.

ونجد ذلك أيضا عند أبي الحسن التهامي، الذي وجه رسالة عتب إلى صديقه محمد، يذكره به، ويذكره بالأيام الخوالي، والعيش الطيب بين مصر والشام–كما ورد في القصيدة– يقول:

وأعظمُ ما بي يا مـــــحمَّدُ أنَّنَا بأرضٍ وفيما بيننا البعدُ والهجرُ

فلا سائلٌ عنِّي فأعذرُ صـــاحبًا ولا لكَ في تركِ السؤالِ بنا عذرُ

عتبتُكَ عتبَ الذَّاكرِ الوادَّ إذْ غَدَا أسيرًا ومحبوسًا وقد ناله ضرُّ(١)

فبعده عن صديقه سبب له ألمًا شديدًا، ويعتب عليه بعدم السؤال عنه، ولا يلتمس له في ذلك عذرًا، فالشاعر سجين، والسجين دائما نراه مأزومًا، وهو محق؛ لأن السّجن "ليس بناءً خارجيًا مرئيًا، ولا حيزًا محدود المساحة، ولا تركيبًا من غرف ونوافذ، بل هو كيان من الفعل المتغير، والمحتَوِى على تاريخ ما"(٢).

أما أبونواس فقد بعث رسالة إلى صديقه الفضل بن يحيى يشكو قسوة السجَّان، وذلك في بداية سجنه، فنراه يقول:

وُقيتَ بـــــي الرِّدَي زدْني قِـيودًا وثنِّ عليّ سوطاً أو عـمودا

وَوَكِّل بـــــي وبالأبوَابِ دُونِـي من الرُّقَباءِ شيطانًا مَــريدَا

وأعفِ مَسامِعي من صوتِ رجسٍ ثقيلٌ شخصُهُ يَدعى: سعيدا

فقدْ تركَ الحديدَ عـــــليَّ ريشًا وأوْقَرَ بُغْضُهُ قلبي حديدا(٣)

---

١ – أبوالحسن التهامي: الديوان، ص ٢٦٢.

٢ – حنان حمودة: الزمكانية وبنية الشعر المعاصر، ط١/ عالم الكتب الحديثة، عمان – الأردن، سنة ٢٠٠٦م، ص ٢٣.

٣ – أبو نواس: الديوان، ص ٢١٩.

يصور أبونواس أن الحبس لا يهمه، ولا يلقي بالا لشيء، لكنه يشكو السَّجان–سعيدًا– من هول ما يلاقيه منه، ومن كثرة الحديد والأثقال التي يوقرها عليه، وأبونواس محق في شكواه تلك، فالسَّجَّانون على مرِّ العصور، "أناس غلاظ القلب، ضالعون في الجريمة، ممتهنون للعقاب، خشنوا الطباع"([1]) والأبيات توضح ما كانت عليه أحوال السجون والسّجناء في العصر العبَّاسيّ، فهذا شاعر الخليفة يلاقي ما يلاقي، فما بال غيره من الناس، كما أن الأبيات توضح قسوة السَّجَّانين، وهذه شكوى نراها في كل الأعصر من الأدباء الذين ذاقوا ويلات السّجن، وعبروا عن هذا الألم، وكأن الظلم يقسي قلوبهم، ويملأها غلظة.

الخاتمة:

وبذلك يكون البحث قد وصل إلى نهايته، وخلُص إلى بعض النتائج، التي أرجو من الله –سبحانه– أن يكون فيها نفع، وهي كالتالى:

- تعد النصوص الشعريَّة التي قيلت من وراء القضبان في العصر العبَّاسيّ مادةً دسمةً للدراسات النفسيَّة والوجدانيَّة للشعراء؛ لأنها عبَّرت بصدقٍ عن خلجاتهم النفسيَّة ومكنوناتها، كما تعد تأريخًا لفترة من حياتهم، هي الأكثر تأثيرًا، وشهادةً على الواقع السياسي والثقافي للدولة العبَّاسيّة.
- ينصبُّ شعر السجون في العصر العبَّاسيّ في أغراض محددة لا يكاد يتعداها، كمناجاة الله والأنا، والاستعطاف والرجاء، والعتب واللوم، والشوق إلى الأهل والأحبة، واستطاع من خلال هذه الأغراض أن يقدِّم لنا رؤيةً جماليَّةً واضحةً وصريحةً لرسم صورته داخل السّجن.

---

[1] – **سالم المعوش: شعر السجون في الأدب الحديث والمعاصر، ط١/ النهضة العربية– بيروت، سنة ٢٠٠٣م، ص ٥٠٠.**

- فجَّرَ السّجن الطاقة الإبداعيَّة والفنيَّة داخل الشاعر العبَّاسيّ السجين، فعكس شعره تجربةً صادقة الأحاسيس والمشاعر، عبَّرت تعبيرًا حقيقيًا عن نفس ملتاعة مقهورة.
- أفلح الشعراء العبَّاسيّون الذين سُجِنوا في انتقاء معجمهم الشعري، الذي جاء مناسبًا لحالتهم النفسية، وما اعتراها من ضعف وذل أحيانا.
- استحضر الشاعر العباسيّ السجين عظمة الذات الإلهية في شعره، فالله هو ملجأهم وملاذهم مما لحق بهم، كذلك استحضروا أناهم، والحديث إليها فخرًا وتصبرًا ووصفًا لما هم فيه.
- تم توظيف الصور الفنيَّة التي كان لها حضور واسع عند شعراء السّجون في العصر العبَّاسيّ، إذ أسهمت هذه الصور في تكثيف اللغة الشعرية، وتحميلها مضامين تعبيرية مؤثرة، استطاعت أن تجعل شعرهم رمزًا للقوة والصمود والخلود.
- يقدم شعر السجون في العصر العبَّاسيّ صورة قاتمة، تعكس معاناة الشاعر وظروفه المعيشية الصعبة في محبسه، وتصور شدة شوقه وحنينه إلى الأهل والأحبة، وتؤجج مشاعره نحوهما.
- إن أصوات الشعراء العبَّاسيّين الذين سُجنوا لأمور سياسية، كانت أشد وقعًا وتأثيرًا في النفس من أصوات الشعراء الذين سُجنوا لأمور أخرى، كالسرقة وشرب الخمر والمجون وغيره.
- الانكسار والذل والإقرار بالذنب –وإن لم يرتكبه الشاعر– سمةٌ بارزةٌ في هذا اللون من الشعر.
- استطاع البحث أن يكشف عن العلاقة القويَّة بين التجربة المريرة التي يخوضها الشاعر، وعملية الإبداع عنده.

المصادر والمراجع

أولا: الكتب:

- **أبو الفرج الأصفهاني:** الأغاني، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، سنة ١٩٩٦م.
- **د.جابر عصفور:** نظريات معاصرة، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب–القاهرة، سنة ١٩٩٨م.
- **د.حسن منصور أحمد وآخرون:** دواعي سجن الشعراء في العصر العبَّاسيّ الأول، مجلة جامعة كردفان للآداب والدراسات الإنسانية– السودان، العدد الثاني، يونيو ٢٠١٣م.
- **الحصري:** زهر الآداب وثمر الألباب، ت: صلاح الهواري، ط/ بيروت، سنة ٢٠٠٩م.
- **حفيظة أحمد:** بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، دراسة نقدية، ط/ فلسطين، سنة ٢٠٠٧م.
- **حنان حمودة:** الزمكانية وبنية الشعر المعاصر، ط١/ عالم الكتب الحديثة، عمان – الأردن، سنة ٢٠٠٦م.
- **الخطيب البغدادي:** تاريخ بغداد، ط/ دار الكتب العلمية–بيروت (د.ت)، ج٨.
- **رضوى عاشور وآخرون:** أدب السجون، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب–القاهرة، سنة ٢٠١٤م.
- **سالم المعوش:** شعر السجون في الأدب الحديث والمعاصر، ط١/ النهضة العربية– بيروت، سنة ٢٠٠٣م.
- **سامح إدريس:** المثقف العربي والسلطة، ط/ دار الآداب، بيروت– لبنان، سنة ١٩٩٢م..

- **شاكر فريد:** قراءة عاجلة في أدب السجون، ط٢/ مطبعة القدس- فلسطين، سنة ٢٠١٢م.

-**شمس الدين بن خلكان:** وفيات الأعيان، ت: د.إحسان عباس، ط/ دار الثقافة – بيروت، سنة ١٩٨٣م.

- **صالح عبدالعظيم:** سوسيولوجيا الرواية السياسية، ط١/ الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، سنة ١٩٩٨م.

- **الطبري:** تاريخ الرسل والملوك، ت: محمد أبوالفضل إبراهيم، ط٢/ دار المعارف، سنة ١٩٦٧م.

- **طه عبدالباقى سرور:** الحسين بن منصور الحلاج، شهيد التصوف الإسلامى، ط/ القاهرة، سنة ١٩٩٦م.

- **عامر عبدالله عامر:** تجربة السّجن في شعر أبي فراس الحمداني، والمعتمد بن عباد، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا- جامعة النجاح الوطنية- فلسطين، سنة ٢٠٠٤م.

- **عبدالرحمن رأفت الباشا:** علي بن الجهم "حياته وشعره"، ط/ مطبعة شركة التمدن الصناعية- القاهرة، سنة ١٩٦٥م.

- **عبدالرحمن منيف:** الكاتب والمنفي، ط٣/ المركز الثقافى العربي- الأردن، سنة ٢٠٠١م.

- **عبدالله الخطيب:** صالح بن عبد القدوس البصري "عصره، حياته، شعره"، ط/ بغداد، سنة ١٩٩٦م.

- **د.محمد مصطفى أبوشوارب:** شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ونثره، ط١/ الإسكندرية- مصر، سنة ٢٠٠٨م.

– **د.مصطفى الشكعة:** الشعر والشعراء في العصر العبَّاسيّ، ط/ دار العلم للملايين– بيروت، سنة ١٩٩٣م.

–**مي أحمد يوسف:** أدب السجون في العصر العبَّاسيّ، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، جامعة اليرموك– الأردن، المجلد العاشر، العدد الثاني، سنة ١٩٩٥م.

–**ميشال فوكو:** المراقبة والمعاقبة ولادة السّجن، ت: علي مقلد، ط/ بيروت–لبنان، سنة ١٩٩٠م.

– **نصر الدين صوالح:** مقاربة بنيوية تكوينية مقارنة في أدب السجون، ط/ الجزائر، سنة ٢٠١٦م.

– **هلال بن ناجي:** ابن مقلة "خطاطًا وأديبًا وإنسانًا"، ط/ دار الشؤون الثقافية العامة– بغداد، سنة ١٩٩١م.

– **يونس الشيخ إبراهيم السامرائي:** تاريخ شعراء سامراء من تأسيسها حتى اليوم، ط/ دار بصرى– بغداد، سنة ١٩٧٠م.

ثانيًا: الدواوين الشعريَّة

– **ديوان ابن المعتز**، شرح: محيي الدين الخياط، ط/ مطبعة الإقبال– بيروت، (د.ت).

– **ديوان أبي الحسن التهامي**، ت: د.محمد عبدالرحمن الربيع، ط١/ مكتبة المعارف– الرياض.

– **ديوان أبي دلامة**، ت: د. إيميل بديع يعقوب، ط١/ دار الجيل– بيروت.

– **ديوان أبي الطيب المتنبي**، ت: عبدالرحمن البرقوقي، ط٢/ دار الفكر – بيروت، سنة ٢٠٠٢م.

– **ديوان أبي العتاهية**، ت: كرم البستانى، ط/ دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت، سنة ١٩٨٦م.

- **ديوان أبي فراس الحمداني**، شرح: د. خليل الدويهي، ط٢/ دار الكتاب العربي- بيروت، سنة١٩٩٤م.

- **ديوان أبي نواس**، ت: سليم خليل قهوجي، ط/ بيروت، سنة ٢٠٠٣م.

- **ديوان صالح بن محمد العلوي**، ت: مهدي عبدالحسين النجم، ط١/ مؤسسة مواهب للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، سنة ١٩٩٩م.

- **ديوان علي بن الجهم**، ت: خليل مردم بك، ط/ لجنة التراث العربي – بيروت، سنة ١٩٨٩م.

- **ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات**، ت: د. جميل سعيد، ط/ المجمع الثقافي- الإمارات العربية المتحدة، سنة ١٩٩٠م.

Bringing the hopeful

A reading in prisons poetry (The Abbasid era as a model)

Dr. Taha Ali Khalifa Ahmed
Lecturer of Arabic Literature
Hurgada Faculty of Al-son
South Valley University

Abstract:

Prison, with its darkness, and oppression, is an important factor in detonating the poet's inner potentials, which turns his ego into a volcano that was about to explode. So, it was necessary for the imprisoned Abbasid poet to search for a cure for these psychological surgeries. He did not find any solution except poetry, as it is the best way to express the oppressed agonies of the soul, and with it he creates visions and dreams for himself, and he evokes the power of his God, who will save him, and instills in him steadfastness and resilience. All of that; to create hope for himself, to feel freedom, and forget the reality in which he lives, so he emptied all his groans and pains, as if he lived in the world of freedom, which eases the pressure of life he lives inside the prison.

This research seeks to reveal what the imprisoned Abbasid poet thinks, and the extent of his ability to form an aesthetic vision for his life inside the prison.

Keywords: Bringing the hopeful - the prison - poetic spaces - the Abbasid era